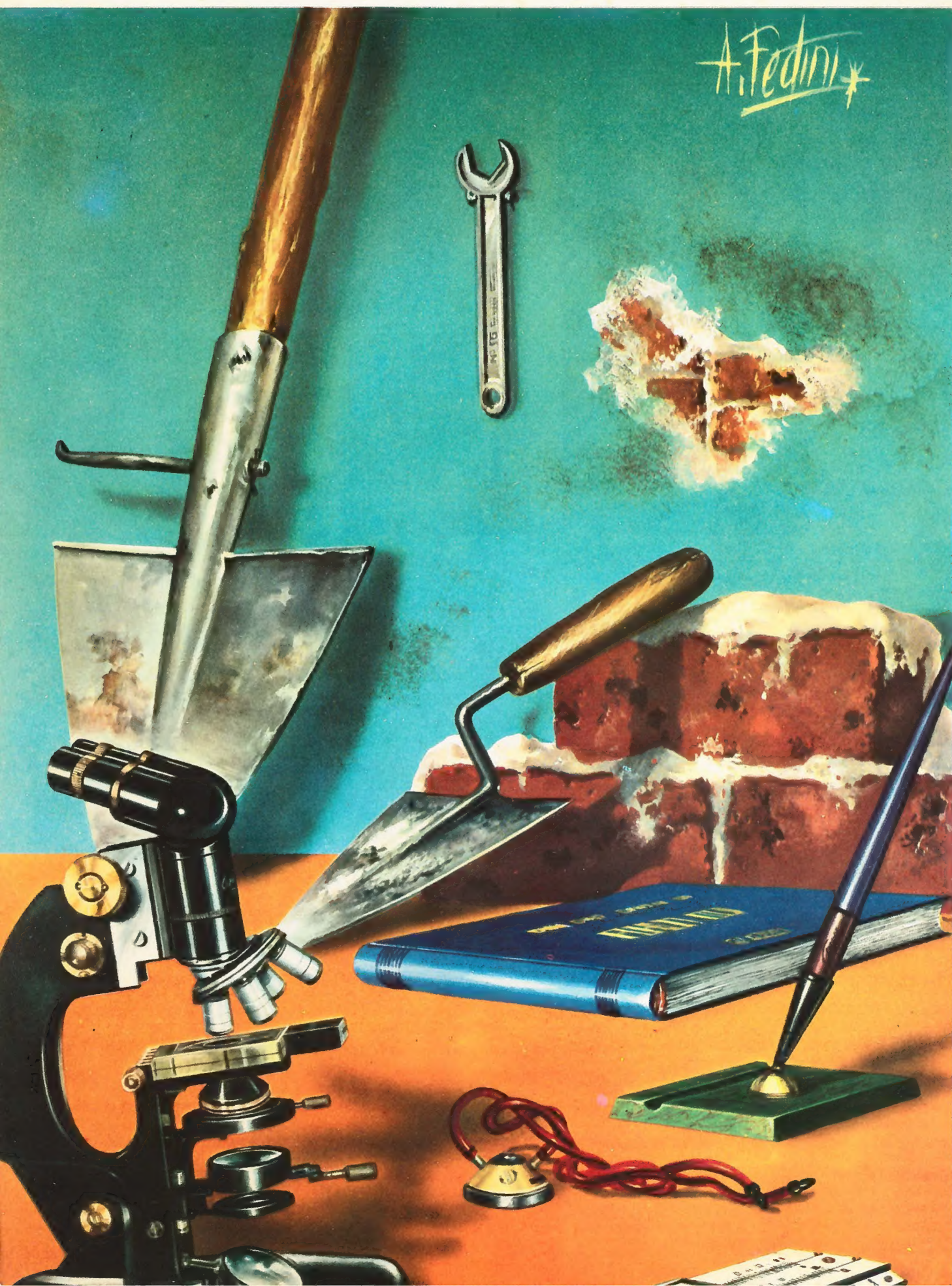


١٣٠

السنة الثالثة ١٩٧٣/٩/٢٠
تصدر كل خميس
ج ٢٠٠ ع

المعرفة



المعرفة

اللجنة العلمية الاستشارية للمعرفة :

اللجنة الفنية :

الدكتور محمد فتواد إبراهيم	رئيس	شفيق ذهني
الدكتور بطرس بطرس غالي	أعضاء	طوسون أنبا
الدكتور حسين فوزي		محمد زكي رجب
الدكتورة سعاد ماهر		محمد مسعود
الدكتور محمد جمال الدين الفندي		سكرتير التحرير: السيدة/ عصمت محمد أحمد

عمل

ع

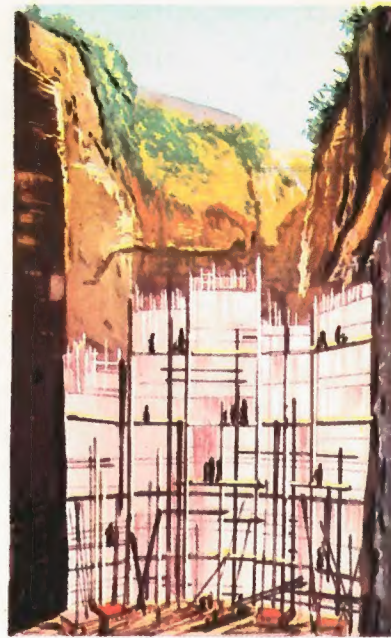
الجوية ، تهدده آلاف الأخطار الناجمة عن الطبيعة ، وعن الحيوانات المفترسة ، بل وعن أخيه الإنسان . هذا فضلا عن اضطرابه لدوام البحث عن الغذاء اللازم لبقائه .

وشيئا فشيئا ، أخذ يتعلم كيف يسيطر على العالم الذي يحيط به ، ويتغلب عليه ، مستخدما قريحته وذكاؤه ، وبصفة خاصة عمله .

ولكى يحسن أحواله المعيشية ، اضطر لموالاته الصراع ، بأذلا في سبيل ذلك جهودا هائلة ، ومتحملا الآلام والمتاعب التي لا عداد لها .

وللتأمل ، على سبيل المثال ، طرق المواصلات . فعندما كان الإنسان البدائي يرغب في الانتقال ، لم يكن أمامه من وسيلة يستخدمها في ذلك سوى ساقه . وإذا كان عليه أن يحمل ثقلا ، فإنه كان يحمله بذراعيه ، أو فوق كتفيه .

وقد ظل الإنسان طيلة آلاف من السنين ، يتحمل متاعب هائلة ، إلى أن اكتشف عونا له في عالم الحيوان ، وذلك عندما تمكن من تطويع بعض الدواب . وقد أخذ في البداية يتمطي ظهورها ،



▲ إن العمل الذي يقوم به الإنسان ، كثيرا ما يؤدي إلى تغيير شكل الأرض . فبفضل الإنجازات التي يقوم بها الفنيون والعمال ، يمكن تحويل واد عميق ، إلى خزان عظيم للمياه ، وذلك بإقامة سد .

في أحد الأودية العميقة ، يقوم بعض الرجال المزودين بأجهزة دقيقة ، بقياس الأبعاد التي يحتاجون إليها في عمل خريطة مفصلة للمنطقة .

وابتداء من هذه الخريطة ، يقوم الفنيون بدراسة إمكانيات إنجاز عمل ضخم ، يهدف إلى بناء سد على مجرى الماء الذي يسير في ذلك الوادي .

وبعد بضعة شهور ، وبعد أن يتحدد التصميم النهائي للمشروع ، يبدأ مئات من العمال ، وعشرات من الفنيين ، في عملية بناء السد . ثم يجري تحويل مجرى الماء ، خلال نفق تم حفره في الجبل . وبعد الانتهاء من أعمال الحفر ، يبدأ في بناء جسم السد ، وذلك بصب كميات هائلة من الخرسانة .

عند ذلك يتخذ مجرى الماء مساره الطبيعي مرة أخرى . وعندما يواجه السد ، يرتفع منسوبه ويكون بحيرة . وعندئذ يمكن استخدام كميات المياه الهائلة في ري الحقول ، أو في توليد الطاقة الكهربائية ، بواسطة محطة تنشأ خصيصا لهذا الغرض .

وبعد هذا العمل ، إحدى الوسائل التي يملكها الإنسان لاستغلال ثروات الطبيعة .

وإذا تأملنا ظروف معيشة أسلافنا الأقدمين ، تملكنا الدهول ، إزاء المرحلة الطويلة التي قطعناها منذ ذلك الوقت .

التطور منذ العصور القديمة

كان مقدرا على الإنسان ، فيما مضى ، أن يهيم على وجهه بدون وسائل دفاعية ، وسط التقلبات



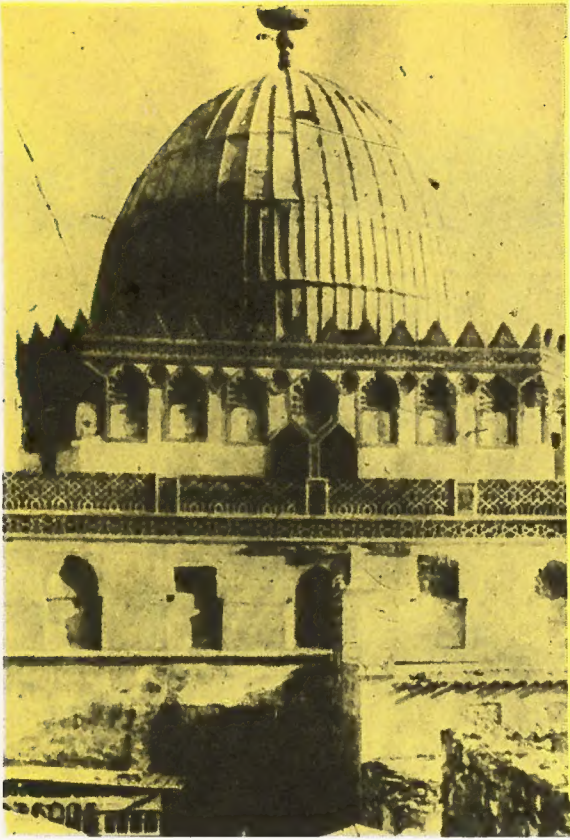
أقضى بناء الأهرام المصرية ، عبقرية وعملا جبارا . ليقطع بها مسافات طويلة ، في وقت قصير نسبيا . ثم أخذ يعودها على حمل أو جر الأثقال الضخمة . وأخيرا توصل إلى اختراع العرب والعجلة ، فتمكن بذلك من أن ينقل بسهولة ، كل أنواع المواد . غير أن هذا التقدم كان بطيئا للغاية ، واقتضى قرونا طويلة من التحسس .

ومع ذلك فإن الإنسان حاول ، منذ أقدم العصور ، أن يحصل من عمله على ما يحتاج إليه ، بأقل قدر من الجهد . ويمكننا أن نتصور مقدار ما أصابه من ذهول وفرح ، في نفس الوقت ، عندما اكتشف مثلا أن مجرد طوف يستطيع ، إذا جهز بشراع ، أن يصعد النهر . فكان حسن استغلاله لقوة الرياح ، عن طريق تلك القطعة من النسيج ، قد جعل القارب ينزلق فوق الماء . وبذلك لم يعد مضطرا للتجديف ، بل اكتفى بتوجيه الزورق . لقد أخذ عمله العضلي يقل ، في حين أخذ عمله العقلي يتزايد . وقد ظل هذا التقدم مستمرا .

كان الصيد هو أكثر الأعمال التي يزاولها الإنسان البدائي ، لكي يحصل على غذائه . وفي أسفل إلى اليمين ، الأدوات التي صنعها الإنسان البدائي ، وهي سن مدببة من الحجارة ، وأخرى من العظام ، كان يستخدمهما كحراوب .



الأدب في عصر الدولة الأيوبية



طراز معاري لقبة مسجد من العصر الأيوبي

كان شعراء العصر الأيوبي من الكثرة ووفرة الإنتاج في فنون شتى من النظم ، الأمر الذي يحدونا إلى أن نقف عند بعضهم ، لعل في ذلك ما يكفي لإعطاء صورة عامة لما كان عليه الشعر ، وما كان له من مكانة في ذلك العصر . ومن هنا سنلم للمامة سريعة ، بكل من أبرز هؤلاء الشعراء ومنهم :

ابن سناء الملك

هو القاضي السعيد هبة الله بن القاضي الرشيد جعفر بن المعتمد سناء الملك . ولد في حدود خمسين وخمسة ، أخذ الحديث عن الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي ، والنحو عن ابن بري ، وكتب ديوان الإنشاء مدة ، وجمع إلى براعة الترسيل ، روعة النظم ، واستكثر من الموشحات وأجاد فيها ، فكان من مجالس الشعراء في زمانه واسطة عقدها ؛ له في الموشحات ديوان سماه (در الطراز) ، وفي الشعر والنثر والمراسلات ، كتاب جامع سماه (نصوص الفصول وعقود العقول) ، واختصر كتاب الحيوان للجاحظ ، وسماه روح الحيوان .

ومن أمثلة نظم ابن سناء الملك :

وما كان تركي حبه عن ملالة
أراد شريكاً في الذي كان بيننا
ولكن لأمر يوجب القول بالترك
وإيمان قلبي قد نهاني عن الشرك
ومن قوله أيضاً :

يا عاطل الجيد إلا من محاسنه
في سلك جفني در الدمع منتظم
عظمت فيك الحشا إلا من الحزن
فهل لجيدك في عقد بلا ثمن ؟

الشاعر: كمال الدين بن النبيه المصري

كان أديباً شاعراً بارعاً ، اتصل بالملك الأشرف موسى من أقارب صلاح الدين ، وكتب له الإنشاء ، وله ديوان شعر منقح ، يدل على براعته ورقته ، وعلى جمال لفظه وعبارته ، لا سيما في قصائده الغزلية والحميرية ، التي ينطق بعض أبياتها بما بها من المحسنات البديعية ، والصور الخيالية ، مثل قوله في الغزل :

صن ناظراً مترقباً لك أن يرى
يامن حكى في الحسن صورة يوسف
فلقد كفى من دمعه ما قد جرى
آها لو أنك مثل يوسف تشتري

ومن قول ابن النبيه في الخمر :

طاب الصبوح لنا فهناك وهات
كم ذا التواني والشباب مطاوع
والدهر سمح والحبيب مواتي
ومن قصائد ابن النبيه في الغزل ، قصيدته التي يتغنى بها الآن وهي :
أفديه إن حفظ الهوى أو ضيعا
ملك الفؤاد فما عسى أن أصنعا
من لم يذق ظلم الحبيب كظلمه
حلوا فقد جهل المحبة وادعى
يا أيها الوجه الجميل تدارك الص
بر الجميل فقد عفا وتضعضا
همل في فؤادك رحمة لنتيم
ضمت جوانحه فؤاداً موجعا؟

الشاعر: ابن مطروح

وهو من أهل صعيد مصر . ولد بأسوط ، ونشأ بها ، وأقام بقوص من بلاد الصعيد مدة ، وتنقلت به الأحوال ، ثم اتصل بخدمة الملك الصالح أيوب بن الملك الكامل ، وكان الملك الصالح إذ ذاك نائباً عن أبيه الملك الكامل بالديار المصرية . ولما ملك الملك الصالح مصر ، جعل ابن مطروح ناظراً في الخزانة ، كما صار وزيراً لما كانت دمشق في حكم الملك الصالح ، ثم تقلبت أحوال ابن مطروح بين اليسر والعسر ، حتى توفي بمصر ودفن بسفح جبل المقطم .

أورد ابن خلكان في مؤلفه وفيات الأعيان عن ابن مطروح قوله « كانت أدواته جميلة ، وخلالها حميدة ، جمع بين الفضل والمروءة والأخلاق المرضية » . وأضاف ابن خلكان يقول « إنه كان تجمع بينه وبين ابن مطروح مودة أكيدة ومكاتبات في الغيبة ، ومجالسات في الحضرة ، تجري فيها مذكرات أدبية لطيفة ، وله ديوان شعر أنشدني أكثره ... »

أثبت ابن خلكان ما كان بين ابن مطروح وبين بهاء زهير من صحة ومودة بالقلب ، اتصل فيهما الشخص بالشخص . ومن مكاتبة ومخاطبة بالشعر تحدث فيهما القلب إلى القلب ، فقال « كانت بينه وبين بهاء الدين زهير صحة قديمة من زمن الصبا ، وإقامتهما ببلاد الصعيد ، حتى كانا كالأخوين ، وليس بينهما فرق في أمور الدنيا ، ثم اتصلا بخدمة الملك الصالح ، وهما على تلك المودة ، وبينهما مكاتبات بالأشعار فيما يجري لهما » .

ولابن مطروح شعر غزلي يتمثل فيه طابع العصر ، وهو اصطناع المحسنات البديعية ، ومن قبيل ذلك :

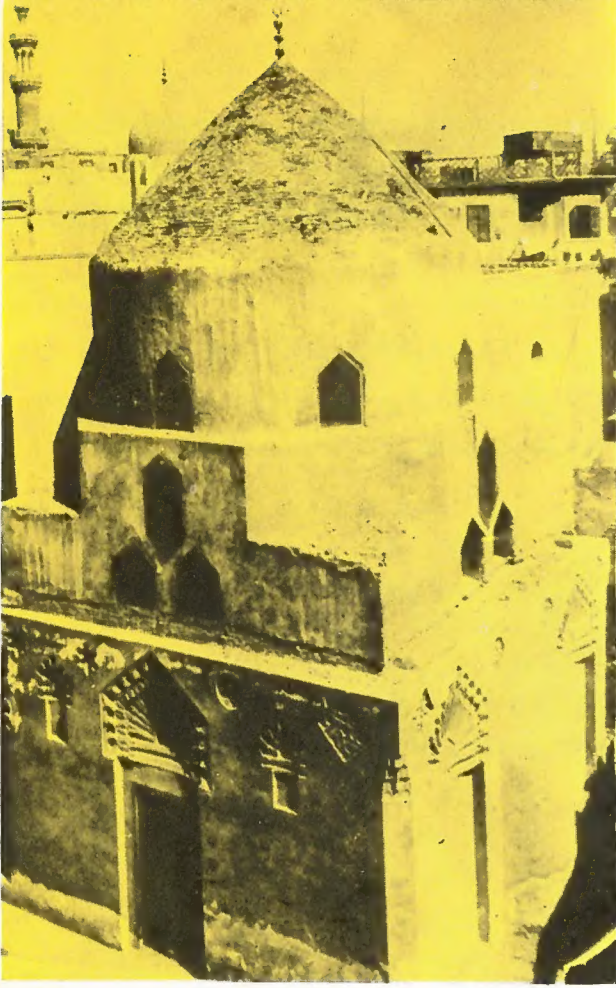
هي رامة فخذوا يمين الوادي
وذروا السيوف تقرر في الأغمار
وحذار من لحظات أعين عينها
فلكم صرعن بها من الآساد
من كان منكم واثقاً بفؤاده
فهناك ما أنا واثق بفؤادي

ولعل ابن مطروح كان ينزع في بعض شعره منزعاً صوفياً ، يتوسل فيه إلى ربه بالدعاء ، ويلتمس فيه من ربه الشفاء . ومن أبيات ذلك المنزع قوله ، وقد نزل في بعض أسفاره في طريقه بمسجد ، وهو مريض فناجى ربه قائلاً :

يا رب إن عجز الطبيب فداوني
بلطف صنعك واشفني يا شافي
أنا في ضيولك قد حسبت وإن من
شيم الكرام البر بالأيصاف



قدر من الخزف ذي البريق المعدني ، من صناعة الرقة في العصر الأيوبي



مدفن شجرة الدر

ومن أمثلة نثره ما كتبه في وصف مدينة آمد (وهي بلدة قديمة من أكبر مدن إقليم ديار بكر) ، فأورد في رسالة جاء فيها :

« وآمد ذكرها بين العالم ، متعالم ، وطالما صادم جانبها من تقادم ، فرجع عنها مقدوعاً أنفه ، وإن كان فحلاً ، وفر عنها فريدا بهمه ، وإن استصحب خيلاً ورجلاً ، ورأى حجرها فقدّر أنه لا يفلك له حجر ، وسوادها فظن أنه لا ينسخه فجر ، وحمية أنف أنفها فاعتقد أنه لا يستجيب لزجر : من ملوك كلهم قد طوى صدره على الغليل إلى موردها ، ووقف وقفة الحب السائل ، فلم يفز بما أمل من سؤال معهدتها » .

وتمتاز طريقة القاضي الفاضل في النثر بالإطناب ، وكثرة الاقتباس ، والتضمين ، والمطابقة ، والتورية ، والمجاز ، مع الإسراف في الجناس ، وما إليه من المحسنات اللفظية ، ومع الميل إلى المفردات الغريبة ، والتراكيب الفخمة .

طريقة البهاء زهير في النثر

ذهب البهاء زهير في إصلاح الأدب العربي إلى ابتداع طريقة جديدة ، خرج بها عن التقاليد المرسومة في صور المخاطبات وفي الأساليب ، فهو موجز لا يحب الإطناب ، وهو مقتصد في زينة اللفظ ، كما أنه نزاع إلى الوضوح والبساطة ، فلا يرضى كثرة المجاز والكناية .

ابن شداد

ولعل من أهم الكتاب الذين أسهموا في الحديث عن صلاح الدين ، فأرخوا له حيناً ، وسجلوا سماته الخلقية حيناً آخر ، ابن شداد . فقد وضع فيه كتاباً سماه : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية . جعل قسمه الأول في ذكر مولد صلاح الدين وأوصافه وشماله ، وجعل القسم الثاني في بيان تقلبات أحواله وفتوحاته .

الشاعر: جعفر بن شمس الخلافة

أديب كبير ، له مصنفات في الأدب ، جمع فيها أشياء لطيفة ، تدل على جودة اختياره ، كما كان شاعراً مجيداً ، له ديوان شعر أجاد فيه ، وكاتباً ممتازاً بحسن خطه ، وعنايته بضبطه . ومن شعره الذي نظمته في الحكم قوله :

هي شدة يأتي الرخاء عقيبها وأسى يبشر بالسرور العاجل
وإذا نظرت فإن بوئساً زائلاً للمرء خير من نعيم زائل
على أن تن شعراء ذلك العصر ، شخصيات فذة عملت عملها في الحياة السياسية ، بقدر ما أسهمت في الحياة الأدبية ، وذلك على نحو ما كان كل من الشعارين جمال الدين بن مطروح ، وبهاء الدين زهير .

الشاعر: البهاء زهير

هو البهاء زهير بن محمد بن علي بن يحيى بن الحسن الأزدي المصري . ولد بمكة أو بواد بالقرب من مكة يعرف بوادى نخلة ، قضى حياته عاملاً في مصر ، وفي غير مصر من البلاد الشرقية ، متصلاً بخدمة الملك الصالح أبي الفتح أيوب بن الملك الكامل ، وبلغ رتبة الرياسة لديوان الإنشاء ، فحل محلاً كان القاضي عبد الرحيم اليبساني صاحبه من قبل .

وكان البهاء زهير - كما يقول ابن خلكان - من فضلاء عصره ، وأحسنهم نظماً ونثراً وخطاً ، ومن أكبرهم مروءة ، وأوفرهم حظاً من مكارم الأخلاق ، ودماثة السجايا .

وأما شعر البهاء زهير ، فشائع ذائع بين الناس ، سواء فيما طبع من ديوانه في أصله العربي ، أو فيما ترجم من هذا الديوان إلى لغات أخرى كالإنجليزية والفرنسية . ويمتاز شعر البهاء زهير باللفظ والرقعة وخفة الروح ، مما تفيض به بعض ألفاظه وعباراته من نكت مستملحة ، وملح مستظرفة ، مثل قوله :

كيف خلاصى من هوى مازج روحي واختلط
وتائه أقبض فى حبي له ما انبسط
يا بدر إن رمت به تشبها رمت شطط
ودعه يا غصن النقا ما أنت من ذاك النط

وكان يقول :

بروحي من أسميها بسى فترمقنى النحاة بعين مقت
يظنوا أنني قد قلت لحناً وكيف وإننى لزهير وقتي

وليس من شك في أن شعر البهاء زهير ، مرآة صادقة تتجلى في صفحتها الروح المصرية ، بكل ما تحتويه من رقة وخفة ودعابة ، كلها لطف وظرف ، والدليل على أن البهاء زهير شاعر مصري في روحه وفي عاطفته ، يتجلى في شعره . فالشاعر يتحدث في عذوبة عن مصر ، والنيل ، والجزيرة ، والجزيرة ، ومجرى الخليج ، وعمما يترقرق بين أعطاف هذا كله من جمال ، فيقول :

فرعى الله عهد مصر وحيا ما مضى لى بمصر من أوقات
حبذا النيل والمراكب فيه مصعدات بنا ومنحدرات
هات زدنى من الحديث عن النيل لى ودعنى من دجلة والفرات
وليالى بالجزيرة والجد يزة فيما اشتيت من لذات

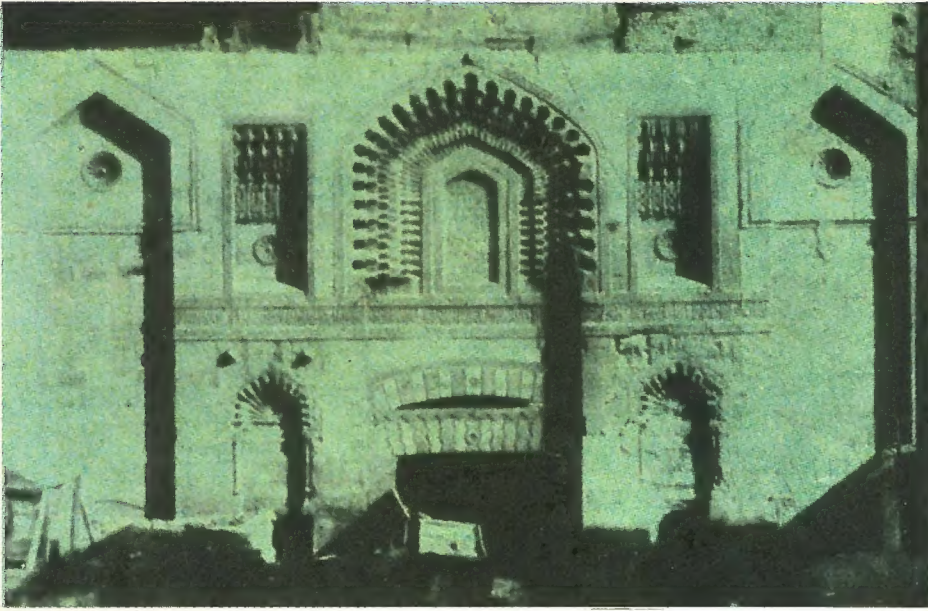
ويقول في قصيدة أخرى :

ولم أر مصرأ مثل مصر تروفتى ولا مثل ما فيها من العيش والخفض
وبعد بلادى فالبلاد جميعها سواء ، فلا أختار بعضاً على بعض

والبهاء زهير في كل ما طرق من فنون الشعر ، لا تكاد تفارقه هذه الروح المصرية ، وشعره في شئون الدين والدنيا ، في المدح والهجاء ، في الغزليات والحمريات ، إنما هو صورة معبرة أصدق تعبير عن ذات نفسه من ناحية ، وعن أحوال عصره من ناحية أخرى .

النثر الفنى في دولة بنى أيوب

كانت زعامة النثر معقودة في دولة بنى أيوب ، للقاضي الفاضل ، وهو عبد الرحيم بن علي اليبساني الحمى . ولد بعسقلان ببلاد فلسطين ، حيث أُلِّم بالعربية والأدب . ثم كتب في الإسكندرية في دواوينها ، ثم ظهر فضله فنقل إلى القاهرة زمن العاضد الفاطمى . ولما استولى صلاح الدين على مصر ، كان بمنزلة وزير له ، ووزر بعده لابنه العزيز . وللقاضي الفاضل ديوان شعر لم يطبع ، توفي سنة ٥٩٦ هـ .



المدرسة الصالحية بحما الصاغة

ميمنة وميسرة ، ولقد وقعت عليه الخيمة في ليلة ريحية على مرج عكا ، فلو لم يكن في البرج لقتلته ، ولا يزيده ذلك إلا رغبة ومصابرة واهتماماً .

ويتحدث ابن شداد عن ورع صلاح الدين وتقواه ، فيقول : « لقد وصلت صلاح الدين الأخبار بأن العدو قد عزم على الصعود إلى القدس ومحاصرته ، فجمع الأمراء وشاورهم في الإقامة بالقدس . ولقد جلست في خدمته تلك الليلة ، وكانت ليلة الجمعة ، فأتته النوم أصلاً ، فقلت له : قد وقع لي واقع ، وأظنه مفيد إن شاء الله تعالى ، فقال وما هو ؟ فقلت له : الإخلاق إلى الله تعالى ، والإنابة إليه ، والاعتماد في كشف هذه الغمة عليه . فقال ، وكيف نصنع ؟ فقلت اليوم الجمعة ، يغتسل المولى عند الرواح ، ويصلي على العادة بالمسجد الأقصى ، موضع مسرى النبي ، ويقدم المولى التصديق بشئ خفية على يد من يثق به ، ويصلي المولى ركعتين بين الأذان والإقامة ، ويدعو الله في سجوده ، فقد ورد فيه حديث صحيح ، وتقول في باطنك « إلهي ، قد انقطعت أسبابي الأرضية في نصرته دينك ، ولم يبق إلا الإخلاص إليك ، والاعتصام بجبلك ، والاعتماد على فضلك ، أنت حسبي ونعم الوكيل » . فإن الله أكرم من أن يخيب قصدك ، ففعل ذلك كله ، وصليت إلى جانبه على العادة ، وصلى ركعتين بين الأذان والإقامة ، ورأيت ساجداً ، ودموعه تتقاطر على شيبته ، ثم على سجدته » .

العماد الأصمعي

وهو من كتاب الإنشاء لصلاح الدين ، وله كتاب « الفتح القسي في الفتح القدسي » ، وقد سمي العماد كتابه بذلك ، يشير إلى أنه في فصاحته كأنه نفحة من نفحات قس بن ساعدة الإيادي الخطيب الجاهلي الفصيح المشهور .

وفي أول الكتاب يبين العماد منهجه الأدبي التاريخي في الكتابة عن صلاح الدين . سار العماد في كتابه على نهج إيراد الحوادث متتابعة على حسب السنين ، وبدأ بإيراد الأحداث منذ سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، وهي السنة التي فتح فيها بيت المقدس . وقال العماد ، معللاً سبب اختياره البدء بهذا العام « وأنا أرخت بهجرة ثانية . . . وهذه الهجرة هي هجرة الإسلام إلى البيت المقدس ، وقائمها السلطان صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب ، وعلى عامها يحسن أن يبنى التاريخ وينسق ، وهذه الهجرة أبقي المهجرتين ، وهذه الكرة ، بقوة الله أبقي الكرتين ، فإن العرب كانت إذا تناهت في وصف الرجل بالقوة ، قالت : كأنه كسر ثم جبر ، والحق أن نقول : إن أطول الحياتين حياة المرء إذا مات ثم نشر ، والعيان يشهد أن أمنع السوريين ما عمر بعد أن ثغر » .

فكتاب الفتح القدسي يبدأ بتاريخ الحوادث التي جرت في عصر صلاح الدين ، منذ السنة التي فتح فيها بيت المقدس ، إلى السنة التي مات فيها صلاح الدين ، وهي سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، يؤرخ وفاته وما أعقب هذه الوفاة من أحداث .

وقد ألزم العماد في هذا الكتاب اللغة الفنية ، فالتزم السجع التزاماً لم يتخل عنه ، فعرض حوادث التاريخ عرضاً أدبياً ، يمزج فيه الحقائق بعواطف الأديب وإحساساته .

المؤرخون الذين كتبوا عن الدولة الأيوبية

نفع كثير من المؤرخين ، ممن تناولوا أحداث الدولة الأيوبية ، نذكر منهم :

١ - القفطي : هو الوزير جمال الدين علي بن يوسف ابن إبراهيم الشيباني ، صاحب تاريخ النحاة المسمى (إنباه الرواة في أنباء النحاة) ، وتاريخ اليمن ، وتاريخ مصر ، وتاريخ بني بويه ، وتاريخ بني سلجوق . ولد بقطنة سنة ثمان وستين وخمسمائة ، ومات بحلب سنة ست وأربعين وستمئة .

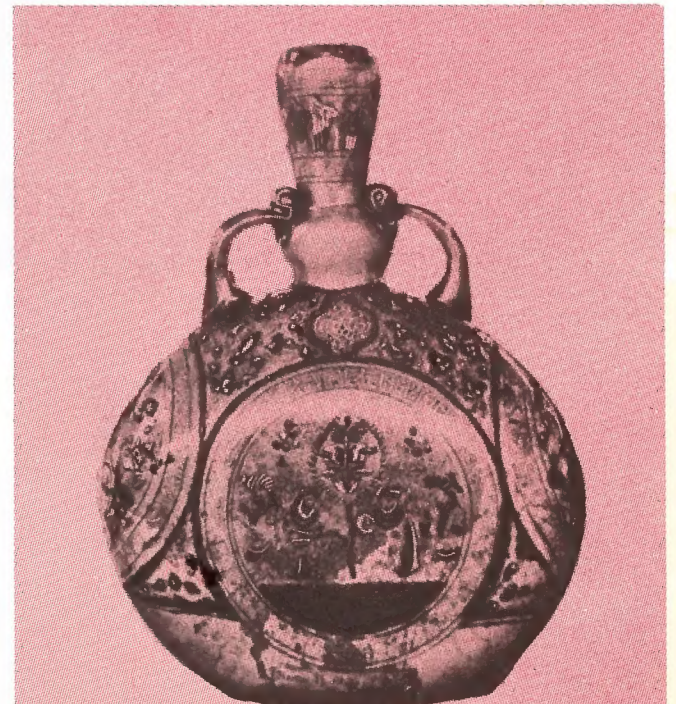
٢ - محمد بن عبد العزيز الأدرسي : كان من فضلاء المحققين وأعيانهم ، سمع الكثير وألف : المفيد في أخبار الصعيد . توفي بالقاهرة سنة ٦٤٩ هـ .

٣ - ابن خلكان : قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد . صاحب وفيات الأعيان ، تفقه على ابن يونس وابن شداد ، ولقى كبار العلماء .

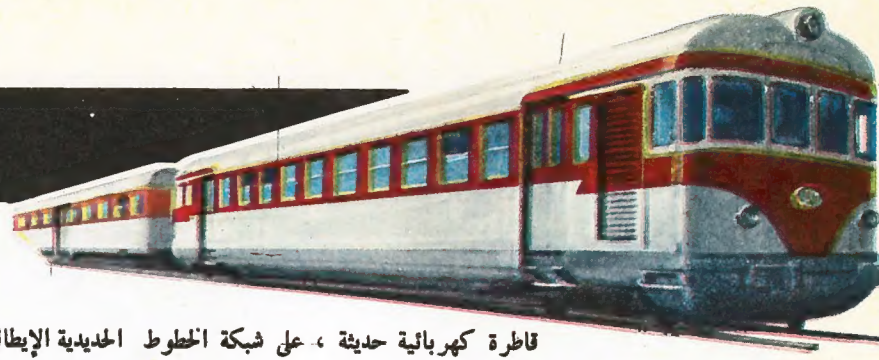
٤ - الكمال الأذفوي : أبو الفضل جعفر بن ثعلب . كان فاضلاً أديباً شاعراً ، صنف الطالع السعيد في تاريخ الصعيد ، والامتناع في أحكام السماع .

وتحدث في القسم الأول عن مواظبة صلاح الدين على القواعد الدينية ، وعن عدله ، وكرمه ، وشجاعته ، واهتمامه بأمر الجهاد ، وصبره ، وحلمه ، ومخافته على أسباب المروءة .

ويتحدث ابن شداد عن حب صلاح الدين للجهاد ، فيقول : « ولقد كان حبه للجهاد والشغف به ، قد استولى على قلبه ، وسائر جوانحه استلاء عظيم ، بحيث ما كان له حديث إلا فيه ، ولا نظر إلا في آله ، ولا كان له اهتمام إلا برجاله ، ولا ميل إلا إلى من يذكره ويحثه عليه . ولقد هجر في محبة الجهاد في سبيل الله أهله ، وأولاده ، ووطنه ، وسائر بلاده ، وقنع من الدنيا بالسكون في ظل خيمة تهب بها الرياح » .



زمرمية من الزجاج المموه بالمنيا ، من صناعة سوريا في العصر الأيوبي



قاطرة كهربائية حديثة ، على شبكة الخطوط الحديدية الإيطالية

(س.د.) : قد تكونون قد رأيتم هذا الرمز على جوانب عربات البضائع والقطارات والقاطرات ، وداخل عربات الركاب . إنه يعني « سكك حديد الدولة » ، وهو معنى واضح : ففي إيطاليا ، كما هي الحال في معظم الدول الأوروبية ، فإن السكك الحديدية ملك للدولة ، أى أنها شركة حكومية ، بل إنها بموظفيها الذين يبلغ عددهم ١٦٠٠٠٠ وأكثر ، إنما تشكل إحدى كبريات الشركات الإيطالية .

بلاد صعبة

لا يمكن على الإطلاق الحديث عن السكك الحديدية الإيطالية ، بغير أن ندخل في الاعتبار أولا علم الجبال في بلاد إيطاليا ، لأنه يتوقف على هذا العلم ، كل ما تنسم به السكك الحديدية ذاتها . نحن جميعا نعرف أن لإيطاليا شكلا « متعبا » ، وجبالا شاقة ، فهذا الشكل ، وتلك الجبال ، يبدو كأنهما قد خلقا خصيصا لجعل شبكة السكك الحديدية فيها ، وكذلك شبكة طرقها ، شبكة عسيرة ، شاقة ، مرهقة .

ولإيطاليا بالغة الاستطالة في اتجاه خطوط العرض ، بحيث أن أية نقطة إلى الشمال وإلى الجنوب ، تتطلب قطع مسافة أكبر من تلك التي تقطع في الدول الأخرى ذات المساحة الأكبر . وهي بعد ذلك بلاد جبلية ، إذ تقوم فيها سلسلة جبال الأبينين ، التي تغطي جزءا كبيرا من أراضيها ، وكذلك السلاسل الجبلية التي تعوق الاتصالات المباشرة بين البحر التيراني والبحر الأدرياتيكي .

وفي إيطاليا مجارى مياه كثيرة غير منتظمة ومتعرجة ، تملأ عمق

الوادي ، وفيها مناطق صخرية متعددة ، الصخور فيها هشّة . وفيها فضلا عن ذلك ، سلسلة جبال مرتفعة ، هي جبال الألب ، التي تعرقل المواصلات السريعة مع الخارج .

فإذا أدخلنا في الاعتبار كل ذلك ، استطعنا أن ندرّك أن السكك الحديدية الإيطالية ، هي سكك حديد في بلاد صعبة : فهي قد أنشئت لتسير في اتجاه متعرج ومتدرج في الارتفاع ، وذلك لتجنب الارتفاعات الحادة بأكثر مما يجب . وهي تتطلب عددا هائلا من المنشآت الإضافية ، كالجسور ، والأنفاق ، والمزلقانات ، والأسوار ، والجلدران ، والدعامات ، وغير ذلك . . وكل هذه العمليات مما يتكلف كثيرا ، سواء في إنشائها ، أو في وقايتها . والحاجة إلى الأنفاق تفوق حد التصور . وقد وصف الخبراء الأجانب ، إيطاليا بأنها بلاد الأنفاق . والواقع أن مجموع طول هذه الأنفاق يزيد على ألف كيلو متر ، وهي نسبة مثوية باهظة ، بالمقارنة بمجموع أطوال خطوط الشبكة الحديدية في جميع أرجاء إيطاليا ، وهو ٢١٠٠٠ كيلو متر ، بما فيها الخطوط الخاصة .



الشبكة الحديدية الإيطالية



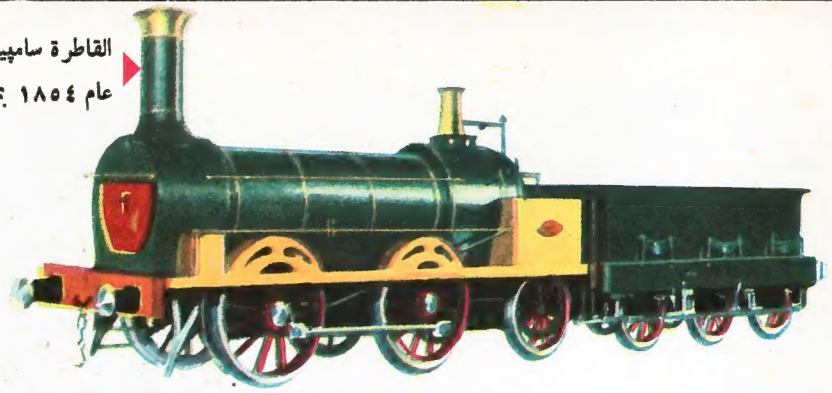
القطار الكهربائي (بريدا) ، أسرع القطارات الإيطالية ، وسرعته ١٨٠ كم في الساعة



داخل كابينة التشغيل ، يظهر على اللوحة المضئ بيان عن الأرصفة الحالية والمشغولة

السكك الحديدية الإيطالية

القاطرة سامبيير دارينا ، وهي أول قاطرة تجارية تصنع في إيطاليا
عام ١٨٥٤ بمصانع أنسالو



الطابع المميز للسكك الحديدية الإيطالية

طولها

يبلغ طول الخطوط الحديدية الإيطالية ، بعد الحسائر التي لحقت بها خلال الحرب ، ٢١٢٨١ كيلو مترا ، منها ١٦٧٢٤ كيلو مترا تابعة للدولة ، و ٤٥٥٧ كيلو مترا خطوط امتياز ، أي تابعة لشركات خاصة .

ومن هذه الشبكة ٩٢٠٠ كيلو متر ، أي أقل قليلا من نصفها ، عبارة عن خطوط مكهربة ، وهي نسبة مرتفعة (وذلك بفضل ما تتمتع به إيطاليا من مصادر كثيرة للطاقة الكهربائية) . وهناك أقل من ربع هذه الخطوط ، أي ٤٦٠٠ كيلو متر ، تعمل على قضبان مزدوجة .

الاتساع بين القضبان

الاتساع بين القضبان في إيطاليا ، هو نفسه المعمول به في أوروبا ، أي ١,٤٣٥ متر . (يختلف الاتساع في كل من روسيا وأسبانيا وأيرلند) . أما الخطوط الضيقة ، فيتراوح البعد بين قضبانها بين ٩٠ سم ، ومتر واحد .

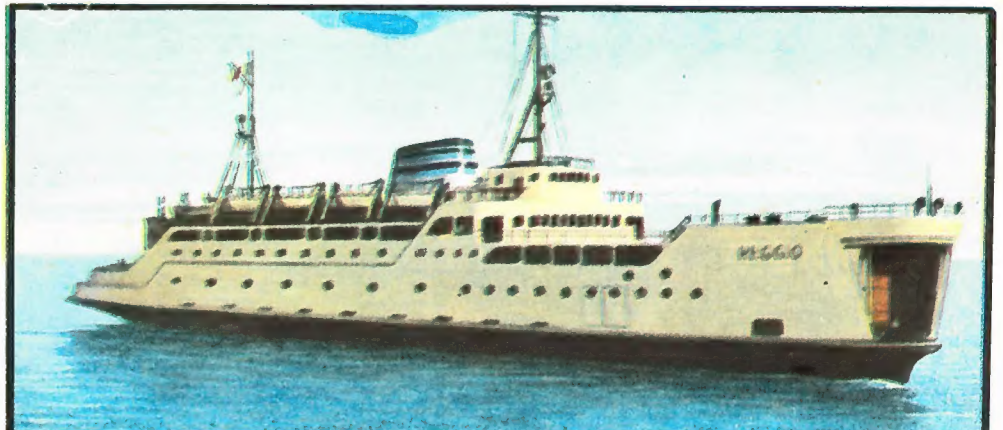
الخطوط الوطنية والخطوط الدولية

إن الخطوط الحديدية لا تنشأ لمجرد الاحتياجات الإقليمية أو الوطنية . والواقع أن التجمعات الحديدية الرئيسية ، هي تلك التي تصب فيها وتتقاطع عدة خطوط ، حتى تلك القادمة من الخارج ، كنقطة تجمع ميلانو وبولونيا في إيطاليا ، أو نقطة تجمع بازل في سويسرا ، أو شيكاغو في الولايات المتحدة . ويتكون الهيكل العام للشبكات الحديدية الإيطالية من : خطين كبيرين يتقاطعان في شمال إيطاليا هما : خط تورينو - ميلانو - بادوفا - فينيسيا - تريستا ، ويبلغ طوله ٥٧٧ كيلو مترا . وكل هذا الخط مكهرب ، ويرتبط بالخطوط في فرنسا ، وسويسرا ، وشرق أوروبا . وخط تورينو - الإسكندرية الإيطالية - بولونيا - أنكونا ، ويبلغ طوله ٤٤٠ كيلو مترا ، وكله أيضاً مكهرب . خطين حديديين ساحليين هما : الخط التيراني (فينيتي ميليا - جنوا - روما - نابولي - ريجيو كالابريا) ويبلغ طوله ١٣٤٠ كيلو مترا ، وكله مكهرب ، وتستفيد منه السياحة الفرنسية في اتجاهها إلى جنوب إيطاليا ؛ والخط الأدرياتيكي (تريستا - فينيسيا - أنكونا - باري) ، ويبلغ طوله ١١٠٨ كيلو مترات ، وكله مكهرب . الخط الداخلي (ميلانو - بولونيا - فلورنسا - روما - نابولي) ويبلغ طوله ٨٤٦ كيلو مترا وكله مكهرب ، وهو أهم الخطوط الإيطالية ، ويخدم

الجانب الأكبر من المواصلات بين سويسرا وإيطاليا . الخطوط الجنوبية (من الشمال إلى الجنوب) . (تورينو - فينيتي ميليا) ، و (تورينو - جنوا) ، و (ميلانو - جنوا) و (بولزانو - فيرونا - بولونيا) ، وهو الخط الذي يتيح الاتصال بين ألمانيا والنمسا وإيطاليا ، و (بادوفا - بولونيا) . وفي صقلية خطان رئيسيان هما : خط (ميسينا - باليرمو) ، وخط (ميسينا - كاتانيا - سيراكوزا) ، وعليهما يسير خط « سهم الجنوب » الدولي ، القادم من هبورج عن طريق هانوفر - بازل - لوزان - ميلانو . وفي سردينيا ، يوجد الخط الحديدي الكبير ، الذي يربط (أولبيا - أوريستانو - كالياري) . وتضاف إلى هذه الخطوط ، خطوط أخرى أقل أهمية ، يبلغ عددها ٢٠٧ خطوط حديدية ، تدخل فيها الخطوط الخاصة . أما الخطوط الحديدية الدولية ، فإنها تسير عبر سبع محطات عبور رئيسية هي : فينيتي ميليا (بين فرنسا وأسبانيا) باردونيكا (نفق فريجيوس وفرنسا) دومودوسولا (نفق سيمبيوني وسويسرا) . وطريق برن - فرنسا . كياسو (نفق جوتارد وسويسرا) . وطريق زيورخ - ألمانيا) رينز ، وسان كانديدو - تارنيزيو (مع النمسا ، وألمانيا ، ويوغوسلافيا)

نبذة تاريخية عن السكك الحديدية الإيطالية

٤ أكتوبر ١٨٣٩ : بدأ العمل على أول خط حديدي إيطالي بين نابولي وجراناتيلو ، وبلغ طوله ٨ كيلومترات . ١٨٤٠ : افتتح الخط الحديدي الإيطالي الثاني ، ويعمل بين ميلانو - مونزا ، وطوله ١٣ كيلومترا . ١٨٤٦ : بدأ العمل على خط (بادوفا - فينيسيا) . ١٨٥٤ : قامت شركة أنسالو ببناء أول قاطرة بخارية ، التي أطلق عليها اسم سامبيير دارينا Sampierdarena . ١٨٦١ : بلغ طول شبكة السكك الحديدية الإيطالية ٥٤٠٠ كيلومترا . ١٨٧٠ : بلغ طول الشبكة ٦٢٠٠ كيلومترا . ١٨٧١ : افتتح نفق فريجيوس Fréjus للمرور . ١٨٨١ : افتتح نفق جوتارد Gotardo . ١٨٩٩ : افتتح أول خط كهربائي بكهربة خط (ميلانو - مونزا) . ١٩٠٦ : افتتح خط سيمبيوني Sempione . ١٩١٤ : بلغ طول الشبكة الحديدية ١٩٠٠٠ كيلومترا . ١٩٣٩ : بلغ طولها ٢٣٠٠٠ كيلومترا . ١٩٤٥ : بلغ طولها (الذي انخفض) ٢١٢٨١ كيلومترا .



السفينة « ريجيو » حاملة القطارات ، وتبلغ حمولتها ٥٠٠ طن ، وهي من أكبر السفن الإيطالية التي من هذا النوع

طيور الغابات في بريطانيا

ومبين على هذه الصفحة والصفحة الثلاث التالية ، عدد من طيور الغابة . بعضها طيور مهاجرة ، تقضى الربيع والصيف فقط في بريطانيا ، وبعضها الآخر تقيم هناك طول العام . وبعض الطيور مثل السيد ، ودجاج الأرض ، والعنديل ، نادراً ما ترى إلا في الغابات ، ولكن معظمها يأتي عادة إلى الحدائق .

الباشق Sparrow-hawk (Accipiter nisus) : هذا الصقر من ألد أعداء الطيور الصغيرة . وعندما يريد الصيد ، فإنه يطير منخفضاً على طول السور ، ويقتنص واحداً من سرب العصافير الدورية Sparrows ، التي لا تجد وقتاً لترك الأرض . وهو دائماً يبني عشه في الغابات ، وغالباً على أعلى الشجر .

النورس الكبير : يبلغ طوله ٢٦ سنتيمتراً ، وله صدر مسحوب وقوى ، وهو يطير عادة على مسافة منخفضة ، ويقطع طيرانه بهبوط حاد ، وذلك عندما يريد أن يحط . وهو يحط على قمم الأشجار ، التي يهاجم منها العصافير والفئران والسحالي .

العوسق Kestrel (Falco tinnunculus) : يشتهر بعادة التحليق العالي في الهواء ، والرأس في اتجاه الريح ، ويتغذى ، بصفة خاصة ، على الفئران والحشرات ، ونادراً على الطيور ، ولا يبني لنفسه عشاً ، وغالباً ما يستخدم عشاً قديماً لعقق Magpie أو لغراب .

كسار البندق Nuthatch (Sitta europaea) : سمي كذلك لمعاداته في شق البندق ثم تكسیره ، بوساطة ضربات من منقاره . ويبني عشه في حفرة في شجرة . ومن عاداته الغريبة ، صنع مدخل للعش مناسب له فقط ، وذلك بسده بالطين . وإذا وضعت لطيرك في الشتاء غذاء دسماً ، فمن المحتمل أن يجذب طيور كسار البندق .

دجاجة الأرض Woodcock (Scolopax rusticola) : على الرغم من أنها تنتمي إلى فصيلة الخواصة ، وتشبه طير الشنقب Snipe الكبير ، إلا أنها تعيش وتبنى العش على الأرض في الغابات .



في الغابة ، تجد الطيور الغذاء الكافي والمكان المناسب لبناء أعشاشها

إذا اخترقت الغابات في الربيع ، عندما تورق الأشجار ، وتكون الأرض مغطاة بأزهار الربيع ونباتات الجريس ، فسترى الطيور في كل مكان ، وستسمع أكثر مما ترى . فتأتي أغاني الطيور الصغيرة من كل جهة ، وكل أغنية متميزة ، ويستطيع عالم الطيور Ornithologist معرفة أي طائر من أغنيته ، كما يعرفه من مظهره ، وقطعا يتم ذلك أحياناً بسهولة أكثر . وتشابه طيور الدخلة Willow-warbler غالباً مع طيور السكسكة Chiffchaff ، ولكن تختلف الأغاني تماماً . ومن أعلى الأشجار ، يسمع هديل الحمام ، والقهقهة الرقيقة لطيور نقار الخشب . وتستكن الطيور عند الغروب ، ولكن قد تسمع الطنين الغريب لطيور السيد . أما العنديل ، فيستمر في أغانيه الرائعة بعد الظلام بفترة طويلة .

لماذا كلها تغني وتصبح ؟ هناك أسباب مختلفة . فالطير يغني عندما يكون سعيداً ، وفي صحة جيدة . ويغني الذكر لجذب الوليفة ، ومع ذلك يكون أهم سبب للغناء هو إنشاء إقليم . فكل زوج من الطيور يبدأ في صنع عش ، وعندما يتقرر مكان هذا العش ، فإنه يبدأ في الغناء لتحذير الطيور الأخرى من نوعها ، بأن هذه المنطقة الصغيرة من الغابة ، محجوزة لهذا الموسم . ويمكن أن نرى طيوراً في الغابة في الشتاء ، ولكنها تكون أكثر سكونا ، وأكثر تصميماً على إيجاد الطعام ، الذي يندر وجوده في الجو البارد . إن معظم الطيور التي رأيتها ، وسمعت صوتها في الربيع ، هي طيور مهاجرة ، طارت نحو الجنوب في الخريف إلى مناطق أدفاً ، ولكن طيور نقار الخشب تبقى ، وكذلك الأنواع المختلفة من طيور القرقف والحمام تطير ليلاً إلى الغابات ، لتستقر على الأشجار .

موطن الغابة

تشغل اليوم الغابات جزءاً صغيراً فقط من الأراضي ، ولكن منذ بضعة آلاف من السنين ، كانت معظم أجزاء بريطانيا تكسوها غابات برية ، مثل أي غابة في المناطق الاستوائية . لقد استوطنت تقريباً جميع الحيوانات الكبيرة التي كانت تعيش فيها ، مثل الذئاب والدببة وما شابهها . وهناك احتمال واضح ، بأن الحيوانات الصغيرة والطيور التي توجد في ضواحي المدن الآن تشبه ، باستثناء بعض الحالات ، تلك التي كانت تعيش في تلك البلاد في زمن ما قبل التاريخ . وتقضى معظم الطيور التي تأتي إلى الحدائق والبساتين ، أغلب أوقاتها على الأشجار . ويرجع السبب في ذلك إلى أنها في الواقع طيور غابات ، كيفت نفسها على حقول ، وأسوار الضواحي ، والمنازل ، والحدائق ، والغابات الصغيرة المنتشرة . ومن الغريب ، بهذه المناسبة ، أن يكون طائر أبي الحناء Robin ، الذي يحتمل أن يكون أكثر طيور بريطانيا البرية استئناساً ، طائر الغابة الخجول الموجود في قارة أوروبا .



النورس الكبير

ودجاج الأرض لذيد الطعم ، ومن الصعب صيده عندما يكون طائراً ، وعلى ذلك فهو مرغوب عندما يكون الصائد مسلحاً ببندقية .

الدراج الجبلي : من فصيلة الدجاجيات . يبلغ طوله ٣٥ سنتيمتراً . وطيور الدراج الجبلية تميل إلى التجمع في مجموعات صغيرة ، وهي تتحرك في الغابة من طرف إلى آخر بحثاً عن الطعام .

الوقواق (Cuculus canorus) : الكل يعرف صوت الوقواق ، ويعلم عن عاداته العجيبة في وضع بيضه في أعشاش الطيور الأخرى . ومع ذلك ، لا يميز كل شخص الوقواق عندما يراه . فهو طائر رمادي ، له ذيل طويل ، ويشبه الباشق تماماً .

البوم الأسمر (Strix aluco) Tawny Owl :



البوم الأسمر

هذا البوم هو الذي ينعق بالليل عالياً بالصوت - هو - هو . ومن النادر رؤيته ، لأنه يختفي أثناء النهار بين الأوراق الخضراء الكثيفة ، وغالباً في نبات العليق ، أو عالياً على أشجار التنوب . ويتغذى على الثدييات والطيور الصغيرة ، ومعروف عنه أنه يقتنص السمك .

نقار الخشب Woodpecker : مابين هنا نوعان بريطانيان منه على ظهر الصفحة وهما : نقار الخشب الأخضر (Picus viridis) ، ونقار الخشب الأسود الكبير ، ولهذين النوعين عادات مختلفة إلى حد ما . وإذا يقضى الأول الكثير من وقته باحثاً في الأرض عن الطعام (يتغذى بدرجة كبيرة على النمل) ، يعيش نقار الخشب الأسود الكبير كلية على الأشجار . وهو ليس كبيراً مثل نقار الخشب الأخضر ، وسمي كبيراً ، نظراً لوجود نوع واحد أصغر ، يسمى نقار الخشب المنقط الأصغر .

القرقف طويل الذيل Long-tailed Tit

(Aegithalos caudatus) : واحد من أجمل الطيور الصغيرة ، وأكثرها جاذبية . ويمكن في الشتاء رؤية أسراب منها طائرة بين الأشجار ، باحثة عن حشرات ؛ وتنادى باستمرار على بعضها بالصوت ذى - ذى - ذى . أبو زريق Jay (Garrulus glandarius) : بالرغم من ريشه اللامع ، فهو ينتمي إلى الغربان ، ويشبهها في عاداته ، فهو لص خطير لبيض وصغار غيره من الطيور الأخرى . ويمكن تمييز أبا زريق طائراً ، من الرقعة البيضاء الموجودة على الجزء الخلفي لظهره .

القرقف الكبير (Parus major) Great Tit : طائر مألوف في الحدائق ، وموطنه الغابات ، حيث يتسلق الأغصان بنشاط ، باحثاً عن حشرات صغيرة . ومن السهل عليه استخدام صندوق صغير ، به ثقب جانبي موضوع على شجرة ، كمش .

الشحور (Turdus merula) Blackbird

كانت الغابات الموطن الرئيسي للشحور ، وما زالت كذلك في الكثير من البلاد الأخرى . وفي بريطانيا ، يعيش الآن في الحدائق ، ويشاهد دائماً في المروج الخضراء ، باحثاً عن الديدان .

الحميراء (Phoenicurus phoenicurus) Redstart

يعرف من ذيله اللون الكستنائي اللامع المائل للحمرة . وهو طائر يعيش في الغابات المفتوحة والمروج ، ومن الطيور المهاجرة ، ويقضى الربيع والصيف في بريطانيا .

العندليب (Luscinia megarhynchos) Nightingale

يمكن سماع صوت العندليب الجميل في الغابات نهاراً وليلاً في الربيع . ويبني عشه على الأرض بين النباتات الكثيفة ، ومن الصعب معرفة مكانه . والبيض لونه أسمر زيتوني داكن ، وخال من العلامات ، على عكس أي طائر بريطاني آخر .

أبو الحناء (Erithacus rubecula) Robin

لا يعتبر طير أبي الحناء من طيور الغابة ، لأنه أفضل الطيور استئناساً وألفة . ومع ذلك تقطن طيور أبي الحناء الغابات في بريطانيا ، التي تعتبر هناك موطنها الطبيعي الأصلي ؛ وطير أبي الحناء الأوروبي من طيور الغابات كلية . يستخدم أبو الحناء ، مثل طيور القرقف ، الصناديق كعش له .

الدخلة (Phylloscopus sibilatrix) Wood Warbler

توجد أنواع كثيرة من طيور الدخلة ، ومن الصعب تمييزها . ودخلة الخشب طائر أخضر رفيع ، وصغير ، وصوته جميل .

الصعوبة (Regulus regulus) Goldcrest

أصغر طيور بريطانيا ، ولونه يميل إلى الأخضرار ، وله عرف على الرأس لونه أصفر برتقالي . وتوجد طيور الصعوبة ، بصفة خاصة ، على أشجار التنوب .

السبد (Caprimulgus europaeus) Nightjar

يختلف طير السبد تماماً عن أي طائر بريطاني آخر ، بلون ريشه البني المبرقش ، وأجنحته الطويلة ، وذيله ، ومنقاره المنفرج كثيراً . وهو يطير ليلاً ، ويمكن سماع

عندليب

باشق

صوته في الربيع في الغابات عند الغروب ، على هيئة طنين غريب . ويعد من الطيور المهاجرة ، ونادراً ما يرى خارج الغابات .

العصفور السميلي (Siskin) Carduelis spinus : طائر يوجد في الشمال ، ويتكاثر في غابات التنوب باسكتلند ، وفي شمال إنجلترا إلى حد ما ، ويزور جنوب بريطانيا في الشتاء ، حيث يمكن رؤيته في أسراب صغيرة ، تتغذى بين الأشجار والشجيرات . وهو في الواقع نوع من طيور الدج .

الصغنج (Fringilla coelebs) Chaffinch

نوع آخر من طيور الغابات ، التي ترى الآن في الحدائق والبساتين . وتبين الصورة ذكراً ، ولون الأنثى له وقاره ، وليس لها الرأس الأردوازي ، أو الصدر القرنفل . وعش الصغنج جميل جداً ، فهو على شكل فنجان عميق ، يزدان من الخارج بالأشنيات .



البوم

بوم

المنجى الجبلي

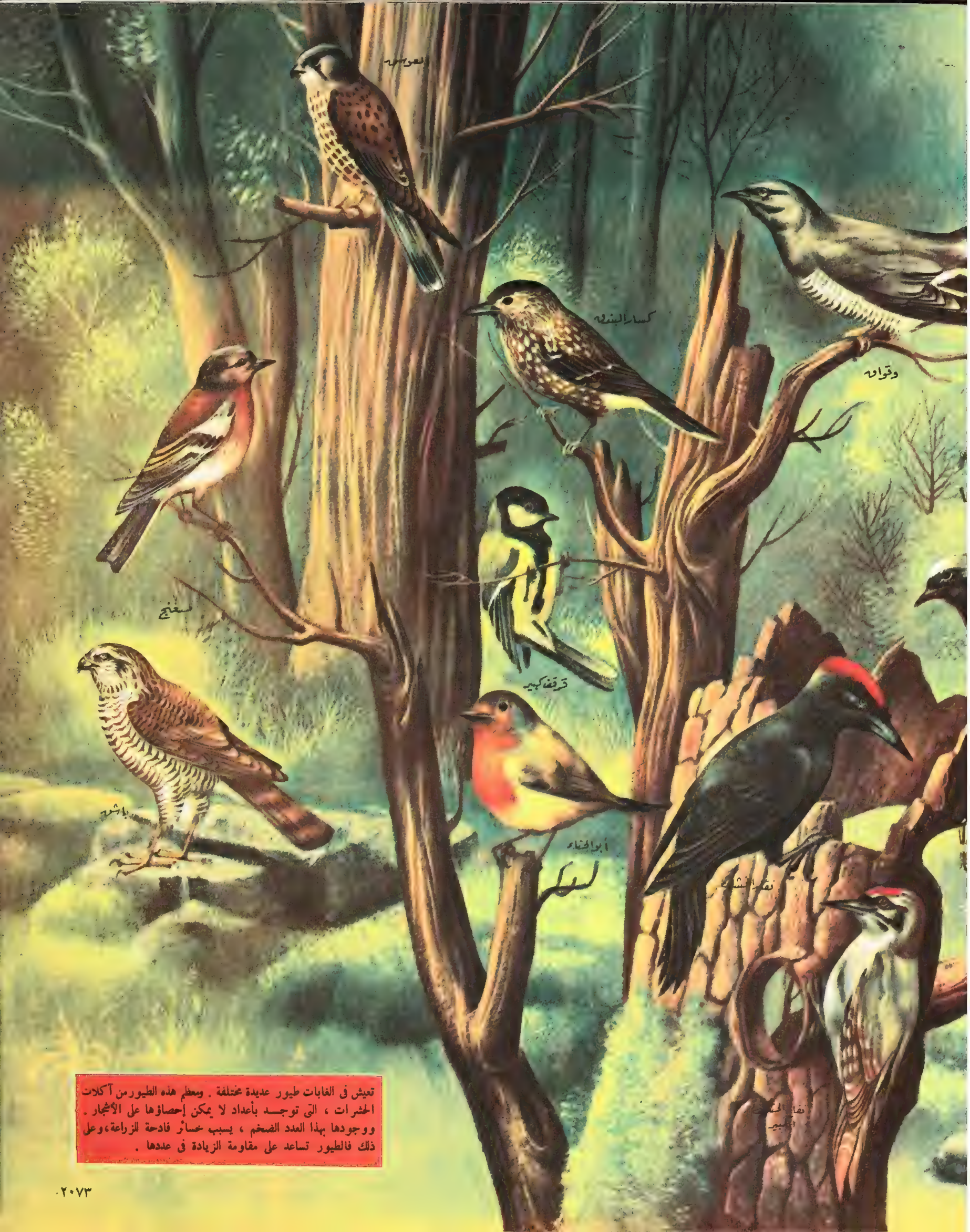
سنونو

السنونو

دجاجة الأرض

دجاجة الأرض

شحرور



تعيش في الغابات طيور عديدة مختلفة . ومعظم هذه الطيور من آكلات الحشرات ، التي توجد بأعداد لا يمكن إحصاؤها على الأشجار . ووجودها بهذا العدد الضخم ، يسبب غسائر فادحة للزراعة ، وعلى ذلك فالطيور تساعد على مقاومة الزيادة في عددها .

السيد المحافظ



قرر السير جون نورمان ، الذى تقلد منصب السيد المحافظ عام ١٤٥٢ ، أن ينتقل موكبته إلى كنيسة وستمنستر بموكب المهرجانات الكبير . وآخر موكب للسيد المحافظ من هذا النوع ، بيع في عام ١٨٦٠

دهرم إلى مرتبة السيد المحافظ ، بعد شباب أمضوه في الفاقة . وكان من هؤلاء أسبورن Osborne . في عام ١٥٣٦ ، كانت هناك ابنة صغيرة لنساج يدعى وليام هيويت ، سقطت من نافذة غرفة نومها إلى نهر التيمز ، الذى كانت تطل عليه . وشاهدها صبي عامل فألقى بنفسه في الماء لإنقاذها ، وكان يدعى أسبورن ، وعندما كبرت الصبية ، أعطاه الأب يدها لتصبح زوجته . وقد ساعد هذا الزواج أسبورن مساعدة كبرى ، حتى إنه عندما وافى عام ١٥٨٣ ، نجح في تقلد منصب السيد المحافظ .

الأيهة والمراسم

إن مظاهر الأبهة التي تحف بمنصب السيد المحافظ ، قد نمت من خلال شتى الأعمال والممارسات المقترنة بانتخاب صاحب المنصب ، ومباشرته لشئون الإدارة ، وكانت لها دلالتها في الأزمان الماضية ، لتأكيد أهمية المنصب . ولم تعد هذه المراسم المظهرية لازمة محتمة على نحو لا بد منه ، ولكنها مع ذلك جزء من روح وتقاليد مدينة لندن ، وبدونها تخسر الكثير . كما أن هذه المراسم ، رمز وتجسيد لأهمية وقدر السيد المحافظ . فبوصفه حارسا للحقوق والامتيازات والسلطات التي استأثرت بها مدينة لندن على مدار السنين ، يصبح مركزه بذلك ذا تبعه كبرى ، ومسئولية بالغة . وبالطبع فإن هذه الحقوق ، في الوقت الراهن ، أبعد ما تكون عن المساس بها ، والانتقاص منها ، ولكن من الوجهة التاريخية ، فهو منصب خطير الشأن ، قوى السلطان .

واليوم لا يزال السيد المحافظ كبير قضاة المدينة Chief Magistrate ، ويقضى وقتا كبيرا في دور القضاء .

والسيد المحافظ ، هو أيضا رئيس قائممقامية المدينة The City Lieutenancy (التي تقوم مقام المتولى زمام

الملكة في دخول المدينة في المناسبات الرسمية ، قام السيد المحافظ بانتظارها عند حدود العاصمة ، وقدم إليها سيف المدينة City Sword ، مسددا طرفه إلى أسفل . وبعد انتهاء هذه المراسم ، يرد إليه السيف ، ويحمله أمامها في مهابة وجلال ، إلى أى مكان تود الذهاب إليه .

أول من تقلد منصب السيد المحافظ

كان إنشاء منصب السيد المحافظ ، نتيجة لمساومة تاريخية طريفة . فقد حدث عندما كان الملك رتشارد الأول مشتركا في الحروب الصليبية Crusades ، أن حاول أخوه جون الاستيلاء على المزيد من السلطة . فوعده مواطني لندن بأن يكون لهم محافظ ، ومجلس بلدى ، إذا هم ساعدوه في تنصيبه وصيا على العرش Regent . ولما كان مواطنو لندن يسعون ، منذ حين ، للحصول على حكومة ذاتية لمدينتهم ، فقد وافقوا من فورهم على هذا العرض . وهكذا تم في أكتوبر عام ١١٩١ ، المناداة بجون وصيا على العرش ، وعلى الأثر منحت لندن محافظها ومجلسها البلدى ، وكان أول محافظ هو هنرى فيز أولوين .

وفي التاسع من شهر مايو عام ١٢١٥ ، وقع الملك جون براءة تؤكد انتخاب السيد المحافظ سنويا ، ثم صدرت بعد أسابيع قليلة ، وثيقة العهد الأعظم Magna Carta ، التي ضمنت لمدينة لندن كافة حقوقها وطقوسها القديمة .

ويبدو أن لقب السيد المحافظ ظل مستخدما منذ عام ١٤١٤ ، وما أن شارف القرن على نهايته ، حتى كان استخدام هذا اللقب شائعا . وبعد مائة عام أخرى ، جرت العادة باستخدام لقب السيد المحافظ المبجل ، وهو المتداول حتى اليوم .

وعلى الرغم من أن المحافظ المشهور ديك هويتنجتون لم يبدأ حياته غلاما فقيرا ، فقد كان ثمة آخرون سما بهم

إن لقب السيد المحافظ المبجل The Right Honourable Lord Mayor ، الملى بالكياسة والمجاملة ، والذي لا يزال مستخدما مرعيا حتى اليوم ، كان في العصور الوسطى أكثر من مجرد تعبير شكلى . فقد كان السيد المحافظ يحظى بالأسبقية على أعضاء الأسرة المالكة ، وكبار رجال الكنيسة . وقد ورد في أحد السجلات الرسمية ، التي يرجع عهدها إلى عام ١٤٦٣ ، أنه « في دائرة لندن ، فهو الذى يلي الملك مباشرة في كافة الشئون » . والواقع أنه كان واحدا من أهم الرجال في البلاد كلها ، وكانت له سلطة قلما نازعها منازع .

ولا يزال السيد المحافظ هو أهم رجل في مدينة لندن ، ولا يمكن أن يتقدم عليه في الأسبقية ، سوى الجالس على العرش عندما يحل في المدينة . وإذا رغبت

ديك هويتنجتون ، تقلد منصب السيد المحافظ في لندن ثلاث مرات





الكتيبة الثالثة لحرس كولسترين جاردز ، تسلم شارتها المميزة للسيد المحافظ

الحكم) ، ويرأس مجلس حكام الدوائر The Court of Aldermen ، والمجلس الشعبي The Court of Common Council ، وهي مجالس تباشر الشؤون الإدارية للمدينة . ويرأس كذلك المجلس المشترك Common Hall أو المجلس النقابي العام، الذي يضم النقابات الصناعية والتجارية . وهذه الهيئات تشكل جميعا جزءا من المؤسسات القديمة، التي أنشئت لمباشرة شئون الحكم والإدارة في العاصمة .

انتخاب السيد المحافظ

يتم انتخاب السيد المحافظ بكثير من الرسمية، والإجراءات الشكلية الكبيرة . فلا بد لمن يرشح لمنصب السيد المحافظ ، أن يجرى انتخابه على ثلاث مراحل منفصلة : المرحلة الأولى ، هي انتخابه بوساطة ناخبي دائرة المدينة Ward ، التي يحاول أن يصبح حاكما في نطاقها . والمرحلة الثانية ، انتخابه بوساطة النقابيين The Liverymen في المجلس المشترك ، ليصبح العمدة أو الشريف Sheriff . والمرحلة الثالثة ، هي انتخابه أيضا بوساطة النقابيين في المجلس المشترك ، لكي يصبح السيد المحافظ .

وقد ورد وصف المجلس المشترك ذات مرة ، بأنه الجمع الرئيسي لمواطني المدينة ، وفي يوم عيد القديس ميخائيل Michaelmas Day ، يجتمع هذا المجلس لانتخاب السيد المحافظ ، في حفل ترجع مراسمه إلى عام ١٣٨٤ . ولهذا الغرض، تتلى علنا قائمة بأسماء أولئك الذين هم مؤهلون ، وأكفاء للاضطلاع بمنصب السيد المحافظ . وعند ذكر كل اسم ، يرفع المواطنون

بالجواهر، والذي يحمله في حفلات التتويج Coronation ، وسيف الدولة the Sword of State ، وخاتم الدولة the Seal ، وكيس المال the Purse ، الذي يعتقد أنه منح من قبل الملكة إليزابيث الأولى . ويتم في اليوم التالي الاحتفال بالموكب الكبير .

وفي مبدأ الأمر ، كان من عادة السيد المحافظ الانتقال من المدينة إلى كاتدرائية وستمنستر Westminster ممتطيا صهوة جواد ، ولكن جرت العادة فيما بين عامي ١٤٥٢ ، ١٨١٦ ، على أن ينتقل عن طريق النهر في موكب المهرجانات الكبير الفخم .

وفي الوقت الحالي ، يطوف موكب السيد المحافظ ، حول المدينة في مركبة تجرها ستة جياد . وعلى هذه الصورة ، يتقدم إلى مواطنيه بين مجالي الأبهة والخيلاء، ومحفوف بمظاهر، قوامها الطقوس الشكلية، والتقاليد المتوارثة.

أصواتهم لإبداء رغبتهم . وعادة يستقبل الإيمان الأولان برفع الأيدي والفتاف بكلمة (إجماع) . أما الأسماء الأخرى فتقابل بعبارة « العام القادم » ، أو « مرة ثانية » ، أو « فيما بعد » . ثم يرسل الإسمان الفائزان بكلمة « إجماع » إلى مجلس حكام الدوائر the Court of Aldermen ، الذين ينتخبون السيد المحافظ .

مهرجان السيد المحافظ

إن المهرجان الذي يقام للسيد المحافظ في يوم تنصيبه ، وهو يوافق السبت الثاني من شهر نوفمبر ، يعد واحدا من أحفل المظاهر تمسكا بالتقاليد الخاصة بهذا المنصب . ففي اليوم السابق لهذه المناسبة الكبرى ، يؤذن للسيد المحافظ بتقلد المنصب في دار البلدية Guildhall ، حيث تسلم إليه شارات المنصب ، وهي الصولجان the Sceptre ، مصنوعا من البلور والذهب والمطعم

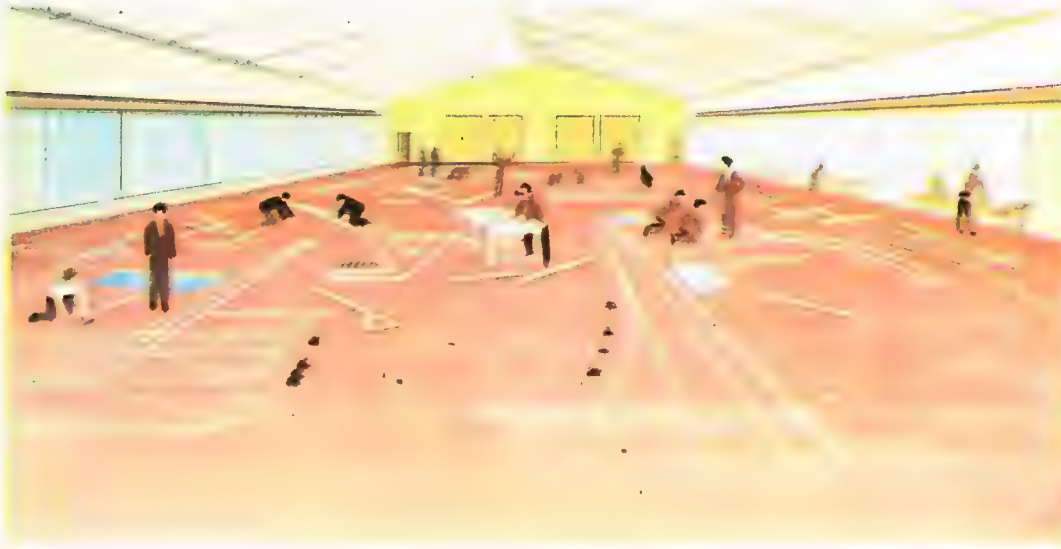
موكب السيد المحافظ بأهته وفخامته . ويبدو فيه وهو يتجه إلى دار القضاء في ميدان ستراند ، لكي يعلن تقلده زمام المنصب



الباحرة



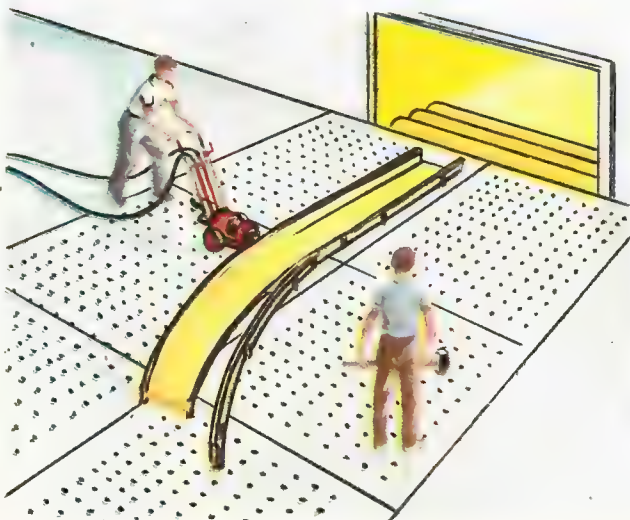
مرحلة من مراحل بناء إحدى السفن : مجموعة من المصممين يحددون الأبعاد الرئيسية ، والطابع الذي ستتخذه السفينة الجديدة ، مرسوماً في آلاف الصور .



منظر عام لقاعة التصميم التي تقوم أرضيتها مقام السبورة الكبيرة الأفقية

ولكي يصبح في الإمكان تنفيذ التصميمات المتعددة ، فإن كل عنصر من عناصر بناء الباحرة يجري رسمه ، بالحجم الطبيعي . وبالرغم من أن ذلك يبدو في غاية الغرابة ، خاصة إذا أخذنا في الاعتبار ، الأحجام الهائلة لبعض أجزاء الباحرة ، التي يبلغ طولها ٢٠٠ أو ٣٠٠ متر ، فإن ذلك أمر ضروري ، لأن هذه الأجزاء يتم تنفيذها بدقة مطلقة ، حتى إذا كانت مرحلة التركيب ، انطبق كل جزء منها على الآخر ، واتسق معه .

إن هذه العمليات يجري تنفيذها في بناء كبير يعرف باسم « قاعة التصميم » ، تتخذ أرضيتها الخشبية المدهونة بالورنيش ، بمثابة سبورة أفقية هائلة الحجم . وفي بعض الأحيان ، يجري في قاعة واحدة ، تنفيذ تصميمات عدة بواخر (يصل عددها إلى ست) دفعة واحدة . وعلينا أن نفكر في الدقة البالغة اللازمة في مثل هذه الحالات ، من جانب التكنولوجيا ، لكي يعرفوا اتجاهاتهم بين كل هذه الخطوط الكثيفة المتشابكة ، التي تغطي الأرضية .



وهاكم الآن كيف يتقدم العمل في رسم الخطوط ، وفقاً للنماذج ، بالأحجام الطبيعية ، وصحبها في قوالب . ففي الأفران التي يبلغ طولها ٢٠ متراً ، توضع هذه القوالب في (الحرارة البيضاء) . وعند خروجها من الفرن ، تنزل على أرضية من الزهر بها ثقوب ، يكون قد رسم فوقها النموذج المطلوب . وفي سرعة ، وقبل أن يبرد المعدن ويعود إلى صلابته ، يعتمد العمال ، باستخدام مطارق من المطاط يحملونها في أيديهم ، إلى تشكيل قضيب الصلب تبعاً للنموذج .

قاعة التشكيل وفقاً للنماذج

تعتبر الباحرة أجمل وأروع ما بناه الإنسان ؛ ففيها تبدو كل روعة التكنولوجيا وقوتها . إن صنع باخرة ، هو أعقد ما يمكن للمرء أن يتخيله ، كما أن المراحل التي تمر بها لا عداد لها .

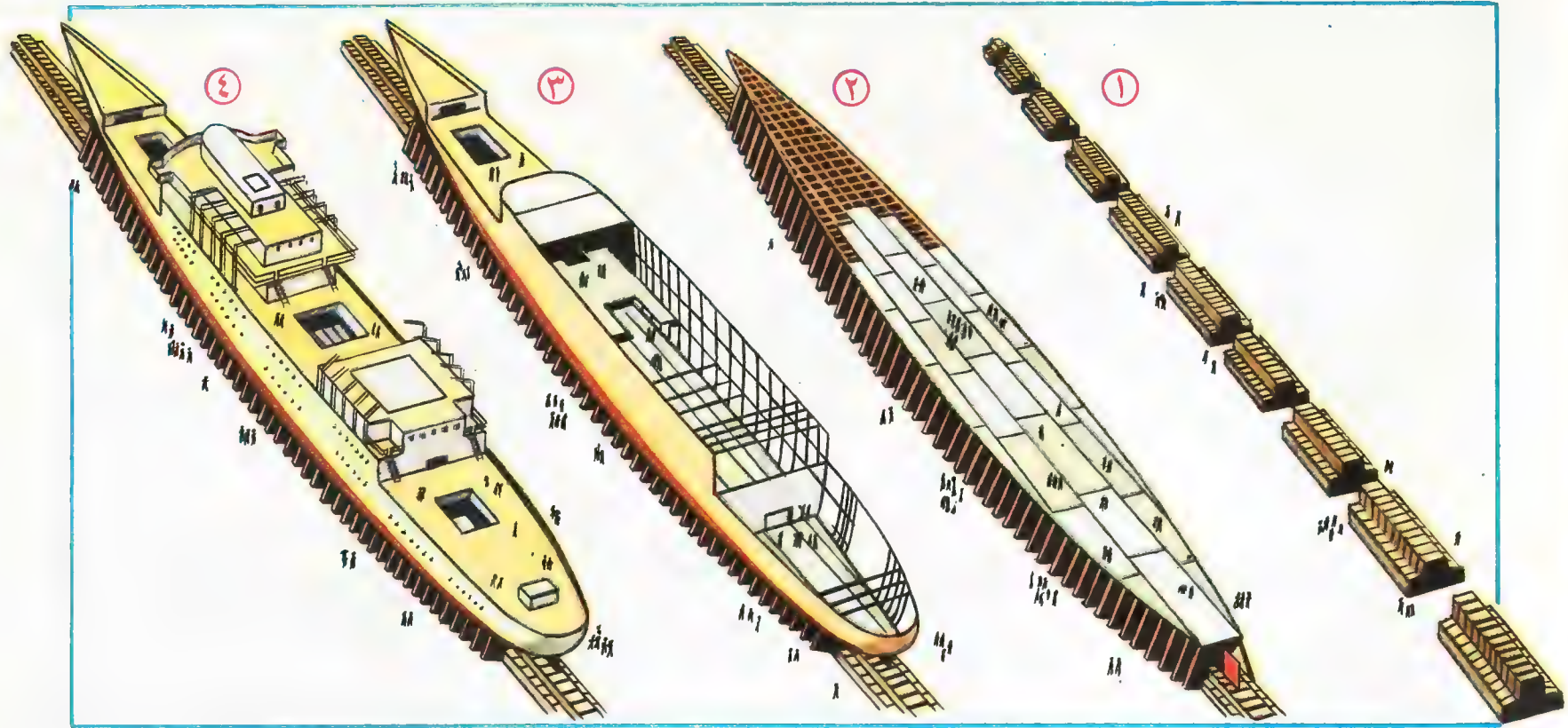
ففي البداية يتم وضع التصميم ، ويشترك فيه عشرات المهندسين ، ثم بعد ذلك يعكف مئات من التكنولوجيا على إعداد الرسوم . ومن بعدهم يجي مديرو مكاتب المشتريات ، ويدخلون في مفاوضات تجارية مع الشركات التي ستولى عمليات توريد المواد .

ويأخذ الألوف من العمال في تنفيذ الأجزاء المختلفة من الباحرة ، ثم في تركيبها على رصيف البناء ، وفي بناء المحركات وتشغيلها . وينصرف عدد كبير من مجموعات المهندسين إلى تصميم الأثاث الداخلي ، ونجى فرق كاملة من صناع الأثاث ، والمنجدين ، وعمال الديكور ، وعمال الطلاء ، والكهرباء ، للقيام بتنفيذ هذه التصميمات .

وتتولى مجموعات من المتخصصين في كل فرع بعناية بالغة ، تدبير كافة الخدمات على ظهر الباحرة : فالطبيب ينصرف إلى تأسيس العيادة ، وعامل السبينة يتدبر شئون غرفة العرض ، وموظف البريد يهتم بالعاملين معه في المكتب . وتأتي أخيراً عمليات التدريبات والاختبارات في البحر .

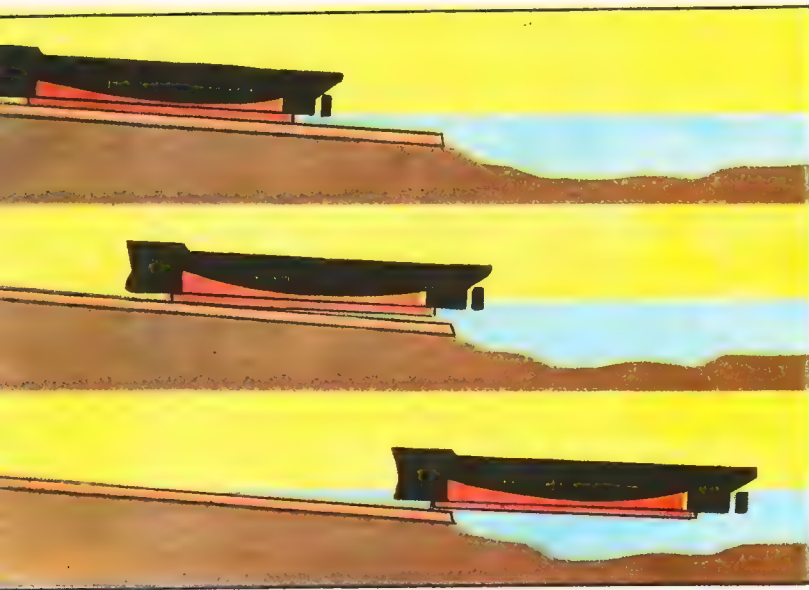
وكل هذه ليست سوى بعض النواحي لعملية بناء إحدى السفن . وعلينا أن نفكر في عملية تنظيم كل هذا العدد من النشاطات المختلفة ، التي يتعين أن تتوالى واحدة إثر الأخرى ، كل منها في الزمان والمكان المناسب ، حتى لا يحدث ضياع خطير في الوقت والمال . وأما الثمرة النهائية للعمل المنسق الذي يتعاون فيه الجميع ، من عقول وأذرع ، فهي الباحرة : تلك المدينة العائمة .

ولنلق الآن نظرة ، عن طريق الرسوم التالية ، لنرى كيف تتوالى أهم مراحل هذا العمل الكبير ...



المراحل الرئيسية في بناء إحدى البواخر

- ① إن عملية البناء الحقيقية للباخرة ، تبدأ فوق رصيف البناء . ويتكون هذا الرصيف من قاعدة كبيرة وقوية ، تميل بعض الشيء نحو البحر .
- ② وتوزع في البداية عدة صفوف من الدعامات فوق رصيف البناء ، وهذه الدعامات عبارة عن أعمدة مصنوعة من الأسمنت والخشب الصلب ، ومهمتها أن تسند هيكل السفينة في مرحلة البناء .
- ③ تبدأ عملية وضع أجزاء الهيكل فوق الدعامات ، وأول هذه الأجزاء ، دروع وشرايح القاع .
- ④ نبدأ الآن في وضع مئات القوالب التي تحدد شكل الباخرة . وفي مصانع ورش بناء السفن ، يتم إعداد أجزاء جاهزة ، يصل وزنها حتى ٦٠ طنا .
- ⑤ تجري عملية تركيب الألواح الحديدية في الجوانب ، وفي المواضع الرئيسية في الهيكل . والآن فإن الباخرة مهيأة للنزول إلى البحر .



ولكي يصبح في الإمكان إنزال الباخرة إلى البحر ، يقام حول الجزء الأسفل من الهيكل ، هيكل آخر أقوى من الأخشاب ، يسمى « التلييسة » ، تربط جيدا بالباخرة ، بواسطة أسلاك معدنية . وتحت « التلييسة » ، يعد سطح انزلاق ، وهو بدوره من الخشب . وفي حذر مبالغ فيه ، تفك عند هذا الحد الدعامات ، وتصبح الباخرة بعد ذلك واقفة بأكملها على « تلييسها » الخاصة ، التي تستند بدورها على سطح الانزلاق . وفيما بين السطح السفلي « للتلييسة » والسطح العلوي لمجرى الانزلاق - وكلاهما مصقول تماما - وهذان السطحان متلامسان ، توضع طبقة من المواد الشحمية الخاصة . وفي اللحظة المحددة ، تدق مطارق خاصة على « التلييسة » وتدفعها ، وعند ذلك تبدأ هذه انزلاقها نحو مياه الحوض ، حاملة معها الهيكل الضخم للسفينة بكل جلالها . وتخلع التلييسة عن الهيكل فيما بعد ، عندما يصبح هذا جسما عائما . إلا أنه حتى بعد إنزال هذا الهيكل إلى البحر ، فإننا لا نكون إلا في منتصف عملية بناء الباخرة .

المراحل التالية للبدء في إنزال الباخرة إلى البحر : ها هي ذى تنزل في بطنه إلى البحر

وبعد عملية الإنزال إلى البحر ، يجري سحب الباخرة إلى حوض خاص . وفي هذا الحوض ، يتم تركيب المحركات ، وجميع الآلات ، ويفلق فوقها الغطاء ، ثم ترفع الجسور والصواري والمداخن . وتبدأ بعد ذلك عملية الطلاء ، وعملية التأثيث الداخلي . وفي عرض البحر ، تتم الاختبارات على السرعة والإبحار ، كما توضع جميع الأجهزة على سطح الباخرة ، موضع الفحص والمراقبة الدقيقة . وأخيرا تصبح الباخرة جاهزة لتسليمها إلى شركة الملاحة ، ومن ثم تبدأ حياتها فوق البحر .

عملية بناء الباخرة تم بعد النزول إلى البحر . . في الحوض



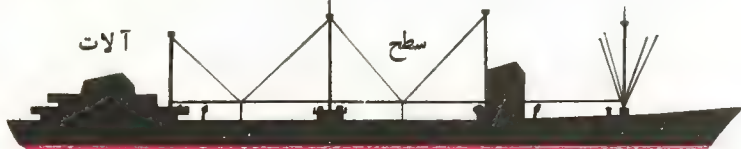


١- الجؤجؤ أو مقدمة السفينة . ٢- السطح الرئيسى . ٣- مؤخرة السفينة .
٤- آلات رفع المرساة (اهللب) . ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨- صوارى المناورة وأذرع رفع
الشحنات ، وفى إمكان الصارى رقم ٦ رفع أحمال تزيد على ٤٠٠ طن . ٩- سطح المراقبة .
١٠- سطح القيادة والقاعة البحرية (حيث الأجهزة الضرورية للملاحة) ، والدفة ،
والرادار ، ومحطة الراديو ؛ وفى الجانب الآخر الذى لا يظهر فى الرسم ، يقع مسكن
قائد السفينة . ١١- سطح الزوارق ومسكن الضباط والطبيب ، وفى الناحية الأخرى
كبائن الركاب . ١٢- سطح مغطى ، وفيه قاعات الاجتماعات ، وغرفة المطالعة ، والبار ،
والخدمات ، وأماكن التنزه وحوض السباحة . ١٣- السطح « أ » وفيه كبائن للركاب .
١٤- السطح « ب » وفيه مكان مخصص للأطفال ، وقاعة الاستقبال ، وقاعة الطعام .

فى هذه المجموعة من الرسوم ، نعرض فى أدق التفاصيل ، قطاع إحدى البواخر ذات
الحمولة المتوسطة ، من النوع الذى يوصف باسم « الطراز المختلط » ، إذ أنها مصممة لتكون
صالحة لنقل الركاب والبضائع معاً . ولذلك نجد فى هذه الباخرة ، الكبائن المريحة ، والصالونات
الفاخرة ، بل نجد فيها حوضاً للسباحة ، صغيراً بطبيعة الحال ، كما هو الأمر فى عابرات
المحيط الأنيقة . . . وذلك إلى جانب العنابر الواسعة ، والأوناش الضخمة .
والبواخر التى من هذا الطراز ، قد تصل إلى ١٥٠ متراً طولاً ، وقد يصل عرضها إلى
حوالى العشرين متراً ، وقد تحمل حوالى مائة من الركاب ، وتشحن ما يقرب من ١٠,٠٠٠
طن ، وتصل سرعتها إلى حوالى ١٦ عقدة فى الساعة .



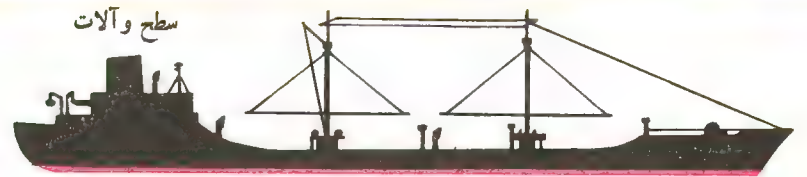
ناقلات البترول لا يوجد فيها إلا القليل جداً من الصوارى ، هى الخاصة بمناورات
مواشير الشحن والتفريغ . وهناك شئٌ تتميز به ناقلات البترول ، هو أن جسرها العلوى
مرتفع ، ويمتد بكامل طول الباخرة . ومن شأن ذلك أنه يتيح البحارة التحرك على ظهر الناقل ،
عندما يكون سطحها لا يرتفع إلا قليلاً عن مستوى سطح البحر ، ومعرضاً لصدمات الأمواج .



هنا نرى باخرة وقد وضعت آلاتها فى المؤخرة ، بينما سطحها الرئيسى فى الوسط .
وتشبه صورتها الجانبية كثيراً صورة ناقلات البترول ، إلا أنها عندما تخصص لشحن البضائع
الصلبة ، تلاحظ كثرة الصوارى ، وأذرع الأوناش التى ترفع الأحمال .



فى بعض البواخر ، تكون المؤخرة فسيحة ، بحيث تتصل بالسطح ، ولذلك سميت هذه
البواخر ذات « المؤخرة المستطيلة » .



هذه باخرة سطحها وآلاتها فى مقدمتها ، كما يتضح من وضع المدخنة . وهذا حل ،
كثيراً ما يلجأ إليه بناء السفن فى البواخر الحديثة ، لأن له ميزتين : أنه يترك لعمليات الشحن
كل الجزء الأوسط من الباخرة ، ويسمح كذلك بتقصير ، بل وبإلغاء الصارى الخاص
بالاتصال بين المحرك والمروحة ، وهو ثقيل ، معرض للتلف .



يمكن ، بالنسبة للباخرة ذات « السطح الأملس » ، قطع سطحها كله ، من المقدمة إلى
المؤخرة ، بغير ما اضطرار إلى تخطى أى اختلاف فى المستوى . والواقع أن ذلك الجزء
الذى يقال له « الغطاء » ، لا يشغل كامل طول سطح الباخرة ، ولكنه يترك ممرين جانبيين .



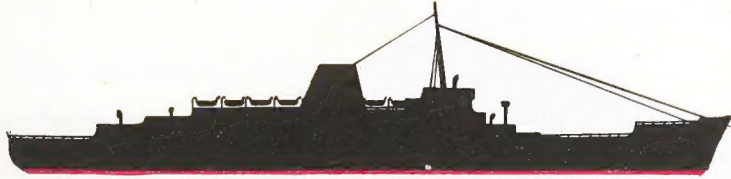
والباخرة ذات (الأجزاء الثلاثة) ، هى أكثر البواخر ملائمة لعمليات الشحن . وقد
اتخذت هذه التسمية ، لأن سطحها ترتفع فيه ثلاثة أقسام ، هى المقدمة ، والمؤخرة ، والوسط .



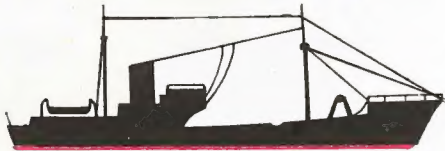
تعبيرات بحرية

الحمولة : هي وزن الباطنة بالأطنان .
 القدرة الإجمالية : هي الحمولة الصافية للباطنة .
 الحجم الكلي : هو الحجم الإجمالي للباطنة (ويشار إليه بمقياس تقليدي يسمى « حمولة الحجم » ، وهو يساوي ٢,٨٣٢ متر مكعب لكل طن) ، ويستخدم هذا المقياس بصفة خاصة في بواخر الركاب .
 الحجم الصافي : هو الفراغ (الحجم) المخصص لشحنة الباطنة (ويحسب بالطن الحجمي) .
 العقدة : هي وحدة القياس للسرعة، التي تعادل ميلا في الساعة (١,٨٥٢ كيلومتر) .

والمطابخ ، وفي الناحية الأخرى ، كبائن للركاب ومكاتب . ١٥ - مكتب البريد ومخزن .
 ١٦ - السطح « ج » وفيه مساكن البحارة ، والمطعم الخاص بهم ، والمخبز ، والثلاجات ، وصالون الحلاقة وتصفيف الشعر ، والعيادة الطبية ، وفي الجانب الآخر يوجد مخزن العفش ، وغرفة الآلات المساعدة . ١٧ - العنبر الأول ، وفيه مخازن وصهريج الزيت الثقيل .
 ١٨ - العنبر الثاني ، وفيه مخازن وصوامع للفلل . ١٩ - العنبر الثالث ، وفيه مستودع للسيارات . ٢٠ - غرفة الآلات . ٢١ - مخزن الخمور والثلاجات . ٢٢ - العنبر الرابع ، وفيه مخازن وصوامع للفلل . ٢٣ - العنبر الخامس ، وفيه مخازن وصهاريج للزيت . ٢٤ - العنبر السادس ، وفيه مخازن وصهاريج للمياه النقية . ٢٥ - آلات ضبط الدفة . ٢٦ - قطع الفيار وخزانات زيوت التشحيم .



تعرف البواخر التي تخصص للركاب وحدهم ، بقلعة ما على ظهرها من صوار . والواقع أن هذا النوع الذي لا يتعين عليه أن يحمل غير أمتعة الركاب ، وما تحتاجه الباطنة ، لا يكون في حاجة إلى أوناش قوية .
 وتتميز بواخر الركاب بكثرة عدد القوارب المخصصة لعمليات النجاة .



تكون سفن الصيد مجهزة بحيث تقوم كل منشآت السطح فيها إلى الوراء ، ناحية المؤخرة ، وبحيث توفر حيزاً فسيحاً في الجزء الأمامي من الباطنة . وهذا الحيز ضروري لنشر الشباك ، ولجمع محاصيل الأسماك .



يمكن التعرف على سفن صيد الحيتان بمكان المراقبة المرتفع ، الذي يوضع أعلى الصاري ، حيث يقف البحار المخصص للمراقبة ، وكذلك بمدفعها الصغير الموضوع في مقدمتها .



القاطرة البحرية باخرة صغيرة مكتنزة ، ولكنها مزودة بقوة دفع كبيرة . وهذا النوع من البواخر ، يصلح لسحب السفن الكبيرة ، حتى يمكن أن تقوم بمناوراتها في الموانئ .
 وفي القاطرة البحرية ، تتجه كل المنشآت الموجودة على السطح ناحية المقدمة ، بحيث يمكن لحبال الصلب الخاصة بعملية السحب ، أن تمتد على طول القاطرة بغير عوائق .



البواخر التي تخصص لنقل الفاكهة ، لها مظهر بالغ النظافة ، وحسن الروفق ، ويمكن التعرف عليها من أبوابها الكبيرة الموضوعة في جوانبها ، ومنها تجري عمليات الشحن . وهذا النوع من السفن يكاد يكون خالياً من الصواري .



كثيراً ما نرى بواخر تجر وهي خالية تماماً من أي شيء على المؤخرة . وهذا النوع يسمى البواخر ذات المقدمة .

الجنرال غوردون



تمثال غوردون بالخرطوم

وعندما عاد غوردون إلى إنجلترا استقبل استقبالاً رائعاً. وكان أفراد المجتمع الراقى في ذلك الوقت، يتحمسون لمعاملته كبطل. ولكن غوردون لم يكن يرضى عن ذلك. ثم انتدبه الجيش إلى جريفسند Gravesend ، وهناك أخذ يكرس وقته لتأدية واجباته العسكرية ودراسة الدين. وكان يزور كبار السن والمرضى ، كما كان يجزل المساعدة للصبية ، فكان يعلمهم ، ويوجد لهم عملاً.

السودان

في عام ١٨٧٤، دعت الحكومة المصرية غوردون إلى مصر، ليكون حاكماً على المحافظات المصرية في السودان. وقد قبل غوردون هذا التعيين ، وظل طيلة ست سنوات يجاهد في سبيل جعل السودانيين يحافظون على ولائهم لمصر ، وليضع حداً لتجارة الرقيق. وقد كانت صعوبة المهمة التي كلف بها ، وسوء المناخ والمرض المتفشى في تلك البلاد ، سبباً في اعتلال صحته ، فعاد إلى إنجلترا في نهاية تلك السنوات الست.

الخرطوم

أخذ غوردون يقوم برحلات طويلة ، وهو يشعر بالقلق ، فزار الصين ، والهند ، وفلسطين ، باحثاً عن موقع جنة عدن. ثم حلت أعظم مغامراته وآخرها. فبعد أن غادر غوردون السودان ، جرت بعض الأحداث الهامة في مصر ، فقد احتلت القوات الإنجليزية البلاد ، وأصبحت الحكومة المصرية خاضعة لسيطرة بريطانيا. كما اندلعت ثورة خطيرة في السودان بزعماء المهدي. وقد أفلحت قواته تدريجاً في اكتساح السودان ، وأصبح الخطر يهدد الخرطوم عاصمة السودان. وهنا بدئ في إعداد حملة جديدة.

كان ذلك هو الوقت الذي تدخلت فيه الحكومة البريطانية ، التي كان يرأسها جلادستون. وقد قررت ضرورة ترك السودان ، وأنه يجب سحب القوات البريطانية المصرية منه ، كما قررت أن الشخص الأمثل لتنفيذ عملية الانسحاب هو غوردون. كان ذلك القرار يتسم بالغرابة ، إذ أنه لم يكن من المحتمل أن يوافق الرجل ، الذي حكم السودان ست سنوات ، على تركه تحت رحمة المهدي. وعندما وصل غوردون إلى الخرطوم ، استقبله الأهالي بفرح ، واعتبروه جاء منقذاً لهم من المهدي. وهنا قرر غوردون ألا يترك هذا الشعب ومصيره. وحتى لو كان فيما سيقدم عليه مخالفة للأوامر ، فإنه قرر أن يبقى إلى أن تصله المساعدة. وعندما علم جلادستون بذلك غضب غضباً شديداً ، وظن أن غوردون إنما يحاول أن يجبره على الرجوع في قراره الخاص بإخلاء السودان. ولذا فقد ظل لفترة طويلة ، كانت قوات المهدي خلالها تضيق الخناق على الخرطوم ، دون أن يرسل إلى غوردون أية مساعدة. وأخيراً ، وتحت إلحاح الملكة فيكتوريا ، وضغط الرأي العام وأعضاء وزارته ، أذعن للواقع ، وأمر بإرسال حملة لنجدة. ولكن النجدة وصلت متأخرة. ففي يوم ٢٦ يناير ١٨٨٥ ، وقبل وصول الحملة بيومين فقط ، اقتحمت قوات المهدي مدينة الخرطوم ، ولاقي غوردون مصرعه.

قليل من الجنرالات الإنجليز هم الذين مروا بحياة غير عادية مليئة بالمغامرات ، كذلك التي مر بها تشارلز جورج غوردون Charles George Gordon . كانت إنجلترا تمر بفترة سلم معظم حياته (١٨٣٣ - ١٨٨٥) ، ولكن غوردون كان واحداً من أولئك الرجال الذين تلاحقهم المغامرات. إن ذكره اليوم لا ترتبط بأى نصر حققه ، بقدر ما ترتبط بالمظهر المأسوي الذي واجه به الموت. وعندما التحق غوردون بالجيش لأول مرة ، عين في سلاح المهندسين الملكيين. وعندما بلغ الواحدة والعشرين من عمره ، نشبت حرب القرم Crimean War ، واشترك في حصار سباستوبول.

الصين

اشتبكت إنجلترا في حرب مع الصين عام ١٨٥٧ ، وهناك لمع اسم غوردون لأول مرة. كانت الحرب قد أوشكت على الانتهاء ، وعندما وصل إلى الصين ، ولكنه بقي هناك مدة أربع سنوات في خدمة الحكومة الصينية. كان العصيان قد استمر في البلاد سنوات عديدة ، وكانت الحكومة الصينية عاجزة عن قمعه. وكان الذي يتزعم ذلك العصيان ، أحد المتعصبين الدينيين ، وكان يطلق على نفسه اسم تين وانج Tien Wang ، ومعناها الملك الذي اختارته السماء. ولمواجهة هذا المدعي ، كونت حكومة الصين جيشاً مختلطاً من جنود صينيين وأوروبيين ، وعرف هذا الجيش باسم رنان هو «الجيش المنتصر دائماً». وفي بداية الأمر ، لم يتمكن هذا الجيش من إثبات أحقيته لتلك التسمية ، ولكن حدث في عام ١٨٦٣ ، أن أصبح غوردون قائداً له ، وفي الحال طرأ على الموقف تغير كبير. كان «الجيش المنتصر دائماً» حتى ذلك الوقت ، يتكون من مجموعة من الرجال القوزويين ، الذين لا يلتزمون بإطاعة الأوامر. ولكن غوردون أحاله إلى جيش عظيم ، حسن الضبط والربط ، يرتدى رجاله ملابس لائقة ، ويتناولون طعاماً وأجوراً مناسبة. ولم تمض ثمانية عشر شهراً ، حتى لحقت الهزيمة بتين وانج.

قوات المهدي تقتحم قصر الحاكم وغوردون متأهب لمواجهة الموت



كيف تحصل على نسختك

- اطلب نسختك من باعة الصحف والاكتشاف والمكتبات في كل مدن الدول العربية
- إذا لم تتمكن من الحصول على عدد من الأعداد اتصل بـ :
- في ج.م.ع : الاشتراكات - إدارة التوزيع - مبنى مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة
- في البلاد العربية : الشركة الشرقية للنشر والتوزيع - بيروت - ص.ب ١٤٨٩
- أرسل حوالة بريدية يبلغ ١٢٠ مليما في ج.م.ع وليمرة ونصف بالنسبة للدول العربية بما في ذلك مصاريف البريد

مطابع الأهرام التجارية

سعر النسخة

ج.م.ع. ٢٠٠	مليم	أبوظبي	٢٠٠ فلس
لبنان	١ ل.ل	السعودية	٢ ريال
سوريا	١٥ ل.س	عُدن	٥ شللات
الأردن	١٢٥ فلسا	السودان	١٥٠ مليما
العراق	١٢٥ فلسا	ليبيا	١٥ قترشا
الكويت	١٥٠ فلسا	تونس	٢ دركات
اليمن	٢٠٠ فلس	الجزائر	٣ دنانير
قطر	٢٠٠ فلس	المغرب	٣ دراهم
دُبح	٢٠٠ فلس		

عمل

إن العمل لا يقتصر على ما يوفره الإنسان من سبل البقاء . فهو أيضا يبرز أحسن ما يمكن أن يتصف به الإنسان من صفات ، كالإرادة ، والذكاء ، والشجاعة ، كما أنه ينمي شخصيته ، ويساعد على بناء عالم يتناسب واحتياجاته . فالعمل هو النشاط الأساسي الذي لا غنى عنه لكل فرد ، ولكل مجتمع يرغب في الحياة وفي التقدم .

مراحل الابتاج

يستطيع الإنسان أن يؤدي ما لا يكاد يشمله حصر من أعمال ، تختلف تبعاً لرغباته ، وإمكاناته ، ولقدراته . هذا ولا يمكن اعتبار أي نشاط إنساني عملاً جسمانياً بحتاً ، أو عقلياً بحتاً ، فالعمل اليدوي يتطلب درجة معينة من الجهود العقلية ، وبالمثل ، فإن العمل العقلي يتطلب قدراً ما من الجهود الجسمانية . ويتطلب النشاط المنتج ، تدخل كل القدرات الإنسانية بنسب مختلفة : القدرات العضلية لأنه توجد دائماً حركة بدنية ؛ وقدرات الذكاء ، لأن العقل يوجه أي إجراء ، ثم قدرات معنوية ، أي إرادة تخطي العقبات ،

ما هو العمل ؟

وكلمة « عامل » لا تقتصر دلالتها على الشخص الذي يزاول عملاً يدوياً . فالمهندس ، والطبيب ، والكاتب ، والصانع ، كلهم عمال ، وكذلك كل الذين يحصلون على إنتاج أو عائد ، مما يزاولونه من نشاط . فإذا قام طبيب مثلاً برسم لوحة إشباعاً لهوايته الشخصية ، فإن ذلك لا يعد « عملاً » ، في حين أن المصور الذي يرسم لوحة ، إنما يؤدي عملاً . من الناحية الاقتصادية ، يعتبر عملاً ، كل مجهود يبذله الإنسان ، بقصد الحصول على منفعة مادية .

أو تحمل المتاعب الذي يقتضيه كل عمل .

ويمكن تمييز ثلاثة أطوار في مجال النشاط المنتج :

١ - **الابتكار أو الاختراع** : وهو العمل الذي يؤديه كل من يكتشف ، أو يخترع ، أو يدخل تحسينات .

٢ - **التنظيم** : وهو عمل الشخص الذي يوزع الواجبات ، بقصد تحسين الإنتاج .

٣ - **التنفيذ** : وهو عمل الشخص الذي يتبع تعليمات المبتكر أو المنظم . والعمل ، سواء كان تجارياً أو حراً ، لا يؤدي إلى الإنتاج مباشرة ، إلا إذا ساد التنسيق الكامل بين هذه الأطوار الثلاثة .

وتدخل القدرات الجسمانية والعقلية للإنسان بنسب متفاوتة ، تبعاً لنوع العمل المطلوب تنفيذه . وقد أدت التطورات الفنية ، إلى إكساب العمل العقلي أهمية تزداد باستمرار . مثال ذلك ، أن الاستخدام الذي لا يتوقف للآلات ، يتطلب مزيداً من المهارة ، ومزيداً من المعارف ، ويحمل العامل مزيداً من المسؤوليات ، إذ أن خطأ واحداً ، يمكن أن يؤدي إلى نتائج خطيرة .

▲ طاحونة من القرن ١٧ . كان الإنسان قبل عصر الآلة ، يستخدم آلات غاية في البساطة ، يعتمد في تحريكها على القوة الحيوانية .

عهد العمل

إن العمل ، مثله كمثل أي إنتاج آخر ، يخضع لنظام الشراء والبيع . فالفرد إذا ما عرض معاونته على شخص ما ، أو مجموعة أشخاص ، فإنه يتفق معهم على الشروط التي سيقدم بها تلك المعاونة ، وبصفة خاصة ، على الأجر الذي سيعطى له . و « عقد العمل » ، هو الذي يحدد الحقوق والواجبات بالنسبة لكل من العامل ، وصاحب العمل .

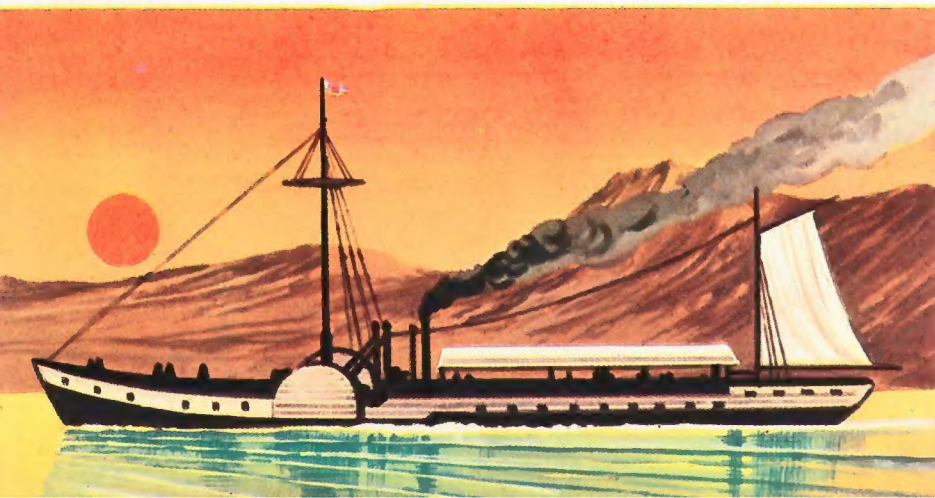
وتتدخل الدولة إلى حد ما ، في تحديد نصوص عقد العمل ، وذلك بسن القوانين التي تحدد القواعد التي يجب الالتزام بها .

ويهدف هذا التدخل من جانب الدولة ، إلى ضمان حسن معاملة العامل . فالقانون مثلاً ، يحدد مقدار العمل الأسبوعي بعدد معين من الساعات (٤٢ ساعة أو ٤٠ ساعة في العادة) . علاوة على ذلك ، فإنه يحدد الشروط الصحية ، وضمانات الأمن التي يجب أن يتمتع بها العامل أثناء ساعات العمل ، وعدد أيام العطلات ، والمساعدة اللازمة في حالة المرض أو الحوادث ، إلى غير ذلك .

تقنين العمل

يوجد المركز الرئيسي لمنظمة العمل الدولية في جنيف . وهذه المنظمة تتبع هيئة

استخدمت أول باخرة تسير بالبخار عام ١٨٠٧ ، بين نيويورك والباني (ولاية نيويورك) . وقد هيأ استغلال البخار للإنسان ، وسيلة ساعدته على زيادة الإنتاج ، والإقلال من التعب . ▼



- الأدب في عهد الدولة الأيوبية .
- السكك الحديدية الإيطالية .
- طيور الغابات في بريطانيا .
- السيد المحافظ .
- السباحة .
- الجنرال غوردون .

- الفن في العصر الأيوبي .
- تورينو .
- أنجو - أغنى مناطق الإردواز في العالم .
- العشب كمحصول .
- تاريخ لايرلند " الجزء الثاني " .
- معركة بلبيخام .
- الجسر .
- السير والتر سكوت .

" CONOSCERE " 1958 Pour tout le monde Fabbri, Milan 1971 TRADEXIM SA - Genève autorisation pour l'édition arabe
الناشر: شركة ترادكسيم شركة مساهمة سويسرية "جنيف"

عمل

بينهما) . والمعمل ، وهو المكان الذي تجرى فيه التجهيزات أو الأبحاث ذات الطابع الفني أو العلمي .

تقسيم العمل

أدت مشاكل الصناعات الكبرى والميكنة ، إلى تقسيم العمل ، وهو تقسيم يهدف إلى تجزئة الأعمال المركبة (المعقدة) إلى أعمال بسيطة ، لإمكان زيادة السرعة في التنفيذ . وهذا التقسيم موجود في الكثير من فروع النشاط الإنساني ، كأعمال البناء ، وصناعة الأثاث ، والأدوات ، وأعمال الحياكة (الملابس الجاهزة) ... إلخ . ونحن الآن نعيش في عصر التخصص . وكل فرد يعد ليوذى عملا خاصا ، يكتسب فيه دقة وسرعة ، وإن كان في هذه الحالة يزداد اعتماده على الآخرين .

ففي المصانع ، يزداد استخدام نظام خط الإنتاج ، فننتقل الأجزاء المطلوب تشكيلها وتجميعها ، فوق ما يشبه السجادة المتحركة أمام كل عامل في حركة بطيئة ، وكل عامل يؤدي نفس العمل ، دون أن يغير مكانه ، مما يساعد على تجنب الإجهاد وضياح الوقت ، وإن كان يؤدي في نفس الوقت إلى شئ من الرتابة .

وتوجد في الوقت الحالى آلات على درجة كبيرة من التعقيد ، في استطاعتها مراجعة العمل الذي تؤديه آلات أخرى ، كما أنها تتدخل أيضا في الإنتاج والتنفيذ . وهذا ما يعرف باسم « الآلية » .

الأمم المتحدة ، أما على المستوى الوطني ، فتوجد منظمات متخصصة ، مثل وزارة العمل ، وهيئة التأمينات الاجتماعية .

ولم تترك هذه المنظمات شيئا للصدف . وقد أدت الحوادث التاريخية ، إلى وضع كل أنواع الإجراءات الوقائية والقوانين واللوائح . فتشريع العمل ينص مثلا على واجبات وحقوق النقابات ، والتجمعات المهنية الحرة ، كما ينظم العقود الجماعية ، ويقترح الحلول لما قد ينشأ من منازعات عمالية (الإضرابات) ، كما يشرح قانون العمل ، ويراعى تنفيذه .

التقسيم

توجد أنواع مختلفة من العمل :

العمل الإنتاجي : وهو العمل المميز بصفة خاصة للصناعات والحرف ، وهي التي تحول المواد الخام إلى منتجات مصنعة .

العمل التجاري : وهو النشاط الذي يقوم به كل من يهتمون بشراء وبيع المنتجات وتوزيعها ، ابتداء من مكان تصنيعها ، إلى مكان استهلاكها .

الخدمات : وهي العمل الذي تؤديه مختلف أنواع النقل (البرى ، والبحرى ، والجوى) ، والمصارف ، ومؤسسات التأمين والإعلام ، والفنادق ، والمواصلات (التليفون ، والبريد ... إلخ) .

العمل الحر (أو المهن الحرة) : وهو العمل الذي يؤديه الأشخاص ذوو النشاط العقلى في الغالب ، والذين لا يعتمدون في ذلك على غيرهم (كالطبيب ، والمهندس ، والمحامى ... إلخ) .

كما يستخدم تقسيم آخر ، للتمييز بين مختلف القطاعات التي تعمل فيها الطبقات العاملة .
القطاع الأولي : ويشمل مجموع الأنشطة الاقتصادية المنتجة للمواد الأولية ، وبصفة خاصة الزراعة والصناعات الاستخراجية .

القطاع الثانوي : ويشمل مجموع الأنشطة الاقتصادية التي تتصل بتحويل المواد الأولية إلى معدات (الآلات مثلا) ، أو إلى مواد استهلاكية .

القطاع الثالث : ويشمل مجموع السكان الذين يؤدون نشاطا في مجال التجارة والخدمات (المصالح والإدارات) ، والمهن الحرة ... إلخ .

الأجور

تختلف طريقة تقدير أجر العامل ، باختلاف المجموعة التي ينتمى إليها في التقسيم العام للعمل . وعلى ذلك فإن :

١ - **الأشخاص الذين يزاولون مهنة حرة :** الجزء الأكبر من نشاط هؤلاء نشاط عقلى ، وهم يعملون مستقلين عن غيرهم ، وبالتالي فهم يعملون لحسابهم الخاص . والأجر هنا يسمى « أتعابا » .

٢ - **الكوادر والموظفون :** والجزء الأكبر من نشاط هؤلاء أيضا نشاط عقلى ، ولكنهم يتبعون صاحب العمل . والأجر هنا يسمى « راتبا » أو « مكافأة » .

٣ - **العمال :** وهؤلاء يؤدون عملا يدويا في أساسه ، ويتبعون صاحب العمل . والأجر هنا يسمى « أجرا » أو « أجرة » .

مكان العمل

تختلف أماكن العمل تبعا لاختلاف طبيعة العمل . فهناك :

المتجر ، ويعمل به صاحب حرفة . والمحل التجاري (الدكان) ، حيث تباع البضائع . والمكتب ، ويعمل به الموظفون . والورشة ، وهي المكان المزود بالآلات ، ويعمل به عدد كبير من العمال . والمصنع ، وهو الذى تصنع فيه أنواع معينة من المنتجات ، ابتداء من المواد الأولية أو المواد نصف المصنعة ، مثل مصنع الدخان ومصنع السجاد ... إلخ (والمكانان الأخيران كثيرا ما يختلط الأمر في التفرقة

